Mahmud Sâmi Paşa el-Bârûdî'nin şiirinde sitem

Serkut Mustafa DABBAGH [1]

APA: Dabbagh, S. M. (2019). Mahmud Sâmi Paşa El-Bârûdî'nin şiirinde sitem. *RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi*, (14), 505-521. DOI: 10.29000/rumelide.541091

Öz

Bu makale, Mahmud Sami Paşa el- Bârûdî'nin şiirinde sitem konusunu ele almak amacıyla kaleme alınmıştr. Araştırmanın amacı genel olarak Arap şiirinde ve özellikle Bârûdî'nin şiirlerinde sitem konularını incelemek ve şairin kardeşleri, akrabaları, halkı, devlet adamları ve sonsuzluk hakkında yaptığı sitemlerin sebeplerini öğrenmektir. Ayrıca bu araştırma Barudi'nin sitem amaçlı yazdığı en önemli şiirleri üzerinde durmaktadır. Bu konunun seçilme nedeni diğer araştırmacılar tarafından kapsamlı bir şekilde ele alınmamış olmasıdır. Bârûdî'nin divanını okunup incelendikten sonra sitem konusu ile ilgili olan bazı şiirlerinden ve kasidelerinden bazıları çıkarılmıştır. Bu araştırma önsöz, giriş, iki bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır. Giriş bölümünde sitemin dil ve terminolojik açıdan tanımı bulunmaktadır. Ayrıca Arap şiirinin edebi dönemleri boyunca sitem konusunda bazı açıklamalar yer almaktadır. İlk bölümde: Mahmud Sâmi Paşa el-Bârûdî'nin doğumu ve yaşamı anlatılmaktadır. İkinci bölümde ise Barudi'nin şiirlerinde sitem konusu ayrıntılı bir şekilde ele alınmaktadır. Araştırmanın sonuç bölümde konunun en önemli sonuçları kaynakçalarıyla birlikte belirtilmiştir. Bu çalışmadaki araştırma metodu ise şairin sitem konusu ile ilgili olarak yazdığı şiirlerin şiirsel kanıtlar belirtilerek ele alındığı objektif bir yaklaşımdır.

Anahtar kelimeler: Sitem, Mahmud Sâmi Paşa el-Bârûdî, siyasi sitem, sosyal sitem, kader, Arap şiiri.

Reproach in the poetry of Mahmoud Sami Pasha Baroudi

Abstract

This research dealt with the purpose of repentance in the poetry of Mahmoud Sami Pasha Al-Baroudi, the aim of the research was to search for the topics of repentance in the poetry of the Arab in general and in the poetry of Baroudi in particular and to learn the reasons and causes of the reproach which the poet has made about his brothers, relatives, people, statesman. In addition, this research focuses on the most important poems of Baroudi in the purpose of repentance. The reason for choosing this topic is that it has not been comprehensively addressed by other researchers. After reading Baroudi's book poetry and reading it accurately, I was able to gather some of his poems and poems scattered about the subject of repentance. The research came in an introduction, a preface, two chapters and a conclusion. In the introduction, definition of repentance the terms of language and terminology. In addition to talking about the purpose of reproach in Arabic poetry through the literary ages. In the first chapter: A talk about the birth and life of Mahmoud Sami Pasha Baroud. As for the second chapter: Detailed topics were explained in the poetry of Barou. At the end of the research: The main results of the research are explained with references and sources of research. The research methodology; the approach I see as an occasion has been adopted in this study, is an objective

1 Dr. Öğr. Üyesi, Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Mütercim Tercümanlık Bölümü, (Karaman, Türkiye), smustafa@kmu.edu.tr, ORCID ID: 0000-0002-8389-9749 [Makale kayıt tarihi: 22.01.2019-kabul tarihi: 20.02.2019; DOI: 10.29000/rumelide. 541091]

approach, he talks with the poetry of the poet with a light on the topics of repentance and highlights the poetic evidence of each subject.

Key words: Research, Mahmoud Sami Pasha Baroud, political research, research repentance, forever, Arabic poetry.

العِتَاب في شِعر مَحْمُود سَامِي باشا البَارُودِي

ملخص

تناول هذا البحث غرض العتاب في شعر محمود سامي باشا البارودي، ويهدف البحث إلى دراسة عن موضوعات العتاب في شعر العربي عامة وفي شعر البارودي خاصة، والتعرف على اسباب وبواعث الذي من اجله عاتب الشاعر لــ "إخوانه وأقاربه وقومه ودهره ورجال الدولة "، وكما وقف البحث على أهم قصائد البارودي التي تخص بالغرض العتاب، وسبب اختياري لهذا الموضوع يعود إلى أنني لم اجد أحدًا من الباحثين قد تطرق أو بحث بشكل اوسع في موضوع العتاب عند البارودي، وبعد اطلاع على ديوان البارودي وقراءته بدقة، تمكنت من جمع بعض من قصائده وابياته الشعرية المتفرقة التى تتعلق في موضوع العتاب. وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، فقد حوى التمهيد على تعريف مفهوم العتاب لغة و اصطلاحًا، بالاضافة الى حديث عن غرض العتاب في الشعر العربي عبر العصور الادبية، وفي المبحث الأول: تم حديث عن مولد ونشأة محمود سامي باشا البارودي ، أما في المبحث الثاني: تم شرح بالتفصيل عن موضوعات العتاب في شعر البارودي، وفي خاتمة البحث تناولت اهم النتائج البحث مع ذكر مراجع البحث ومصادره. أما منهج البحث؛ فإنّ المنهج الذي أراه مناسبة واعتمدت عليه في هذه الدّراسة هو منهج الموضوعي، الذي يتناول اشعار الشاعر مع تلسيط الضوء على موضوعات العتاب وإبراز الشواهد الشعرية لكل موضوع.

كلمات مفتاحية: العتاب، محمود سامي البارودي، العتاب السياسي، العتاب الإجتماعي، الدهر، الشعر العربي.

التقديم

الحمدلله والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين أخذوا من نبيهم خير الأحكام واقتدوا به في السراء والضراء وأتباعهم الذين اتبعوا بإحسان وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

يعد محمود سامي باشا البارودي شاعرًا بارزًا من بين شعراء العرب المشهورين، الشاعر " السيف والقلم"، وقد اجتمع الباحثون على ان البارودي هو رائد الشعر العربي الحديث، فقد فك الشعر من قيود البديعية وأغراض المعروف، ووصله بروائع القديمة وصياغتها المحكمة، وقد حقق البارودي في قصائده السياسية والوطنية تطورًا واضحًا، من خلال انتقاله من عالم الفردية الذاتية الي العامة، ومن عالم الحياة الخاصة الى نضال من اجل الوطن، وحقيقة يقال ان البارودي في ريادته للشعر السياسي والوطني قد فتح بابًا جديدًا لموضوع القصيدة العربية الحديثة. وعاش البارودي جنديًا فارسًا بطلًا فقد استخدم فروسيته وشجاعته وبطولته في الحوادث التى أملى الزمن على وطنه وشارك في حروب، ونشأته السياسية من جهة وتأثير جمال الدين من جهة أخرى عيوفًا وطنيًا حرًا أبيًا، واستطاع من خلال طبيعة نفسيه والأخلاق الحميدة ان يستجاب لكل المواقف التي عاش شاعرنا ، وكان له مواقف المحمودة وانعكس أثر ذلك على أعماله الأدبية وخاصة الشعر، وكما انعكس عليه صور المجتمع الذي عاش فيه. ونظم البارودي شعره في معظم الموضوعات الشعرية من الفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف والعتاب والشكوى، وايضا له قصائد في الزهد والحكمة والسياسة. وكان ديوان البارودي بمثابة سيرة حياته فلكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية الشاعر، وكان شخصيته واضحة في كل ما نظم من الاغراض الشعرية و خاصة العتاب، فنجد في صفحات ديوانه انه انشد قصائد في غرض العتاب، لام رجال الدولة و عاتبة حبيبته و شكا ولام من الدهر، لهذا حاولت ان ابحث في غرض العتاب عند هذا الشاعر العظيم وقد استقر عنوان بحثي (العِتَاب في شعر مَحْمُود سَامِي باشا البَارُودِي). وقد اعتمدت على مصادر ودراسات السابقة تناولت موضوع العتاب في الادب العربي قديمًا وحديثًا. ومن ابرز تلك المصادر التي أغنت موضوع بحثي، كتاب فن العتاب في الشعر الاموي لوئام كاظم، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، والعتاب في الشعر العباسي لرائدة مهدي جابر، وكتب محمود سامي البارودي لعمر الدسوقي وفضلا عن ديوان الشاعر محمود سامي البارودي وغيرهم من المصادر.

وفيما يخص هيكل البحث فهو يتألف من التمهيد ومبحثين وخاتمة. ثم يختتم بعرض قائمة المصادر والمراجع، ويتضمن التمهيد من فرعين ففي فرع الاول تناولنا فيه عن مفهوم العتاب لغة واصطلاحا، فيما تناولنا في فرع الثاني عن حياة الشاعر وشخصيته الأدبية. أما في مبحث الأول فكان حديث عن غرض العتاب في الشعر العربي قديما وحديثاً.

أما في المبحث الثاني فكان دراسة موضوعية عن موضوعات العتاب في شعر شاعر محمود سامي باشا البارودي وقد تطرقنا الي العتاب الاجتماعي ، والعتاب السياسي، وعتاب الحب، وعتاب الدهر. وفي ختام عرضنا بعض النتائج التي توصل إليها هذا البحث، ثم عرضنا قائمة بأسما المصادر والمراجع.

وفي الختام نسأل الله أجر ما قدمناه، فإن كنا موفقين في بحثنا هذا فهو من الله وله الفضل، إن كنا قد أخطأنا في تقديرنا فهو منا.

التمهيد

مَفْهُوم العِتَاب لُغَةً واصطلاحًا:

لغةً: جاء في معجم الوسيط العتب: (عَتَبَ) عليه ، عَتَبُ، وعَتَبِ عَتْبًا. وعِتابًا، وتَعْتابًا، ومعْتَبًا، ومعتَبَةً: لامَهُ وخاطَبَه مخاطَبَةَ الإدلالِ طالبًا حُسْنَ مراجَعَتِهِ مذَكِّرًا إياهُ بما كَرِهَه منه. وعَتَبَ فلانٌ عَتْبًا، وعَتَبَانًا، وتَعْتابًا: وَثَبَ برجْلٍ ورفَعَ الأخرى. والتَعتَّبَ: تَعَتَّبَ القومُ: تعاتبُوا عليه، تَجنَّى. ويقال: فلانٌ لا يُتَعَتَّبُ بشيءٍ: يعني لا يُعابُ، (مصطفى، الزيات، النجار، و عبدالقادر، 1980، صفحة 851). وفي لسان العرب العَتَبَ الموجِودَةُ. عَتَبَ عليه يَعْتِبُ ويَعْتُبُ عَتْبًا وعِتابًا ومَعْتِبَةٌ ومَعْتَبًا أَي وجد عليه. فأَمَّا الإعتابُ والعتبي: فهو رُجوعُ المَعْتُوب عليه إلى ما يُرْضي العاتِبَ. والاستِعابُ: طَلَبُك إلى المُسِيءِ الرُّجُوعَ عن الإساءة، فهو إساءَته. وعاتَبهُ مُعاتَبة وعِتابًا: كلُّ ذلك لامه؛ وقال الشاعر على بن الجهم: إذا ذَهَبَ العِتابُ، فليس وُدُّ..... ويبقَى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ ويقال: ما وجدتُ في قوله عُتبانًا؛ وذلك إذا ذكر أنه أَعتَبَكَ، ولم ترَ لذلك بيانًا (منظور، 1993، صفحة ج22/10). ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي(718م 786م) في مادة عتب: مخاطبة الدلال ومذاكرة الموجودة (الرازي، 1983، صفحة 434).

وكان الأزهري (895م-981م) في كتابه تهذيب اللغة قد قام بتوضيح ما قاله الفراهيدي فقال : **التَّعَتُّبُ والـمُعاتَبَةُ والعِتابُ**: كل ذلك مخاطبةُ الإدلالِ وكلامُ المـدِلِّينَ أَخِلاَّءهم، طالبين حُسن مُراجعتهم، ومذاكراة بعضهم بعضًا ما كَرهوه مما كسبتهم الموجدةَ (الأزهري، 2001، صفحة 278/2). **والعِتبُ:** الكثيرُ العتاب. وذهب ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة" *ان العين والتاء والباء أصل صحيح، يرجع كله إلى الأمر فيه بعض الصعوبة من كلام أو غيره. من ذلك العتبة، وهي أسكفة الباب، وانما سميت بذلك عن المكان المطمئن السهل...وتجمع أيضا على عتب و كل شيء جسًا وجفًا فهو يشتق له في هذا اللفظ. يقال فيه عتب، اذا اعتراه ما يغيره عن الخلوص"* (فارس، 1979، صفحة 225/4).

أصطلاحاً: يقول المدني في كتابه أنوار الربيع في انواع البديع *"العتاب حدائق المتحابين، وثمار الاوداء، والدليل على الضن بالاخوة... وظاهر العتاب خير من باطن كله، وكما قال ابو الدرداء: معاتبة الأخ أهون من فقده، ومن ذلك باخيك كله. وكما قال الشاعر* ***ترك العتاب اذا استحق اخ... منك العتاب ذريعة الهجرة"*** (المدني، 1968، صفحة 7/3). وقال العتابي: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد (القرطبي، ب،ط، صفحة 724/1)، وقيل ايضا العتاب مدرجة القطيعة، وهو رسول الفرقة وداعي القلى وسبب السلوان،و باعث الهجران لأنه يبعث التجني ، والتجني ابن المحاجة ، والمحاجة أخت العداوة ، والعداوة أم القطيعة (العسكري، 1994، صفحة 168/1)، وما هذا التناقض في الآراء إلا لأن العتاب غرض دقيق لا يؤتمن النجاح فيه نتيجة لما يتركه من ارتباك ومكابدة لدى الشاعر وهو إن قل شد من أواصر الود ، وحفظ روابط المحبة ، وإذا خشن جانبه ، وثقل صاحبه.

ومفهوم العتاب في الادب وخاصة في الشعر من االفنون الوجدانية يلجأ الشاعر اليه حين يكون لديه احساس بالتحول عن المودة من المعتوب عليه، فتدفعه بواعث متباينة الى غرض يتوسط فيه بين ان يلوم المعتوب عليه من ان يوجعه فينقلب العتاب الى هجاء، وبين ان يطلب الابقاء على الود من غير ان يضع الشاعر نفسه موضع المتوسل والمستعطف (فرج، غرض العتاب في الشعر العربي الى نهاية القرن الرابع الهجري، 2010، صفحة 6).

غرض العتاب في الشعر العربي

العتاب في شعر غرض من الاغراض الشعرية العربية وهو من الفنون الوجدانية الصافيةّ، ويعبر عنها الشاعر عندما يكون لديه احساس بالتغير نحو المحب من المعتوب عليه فتدفعه اسباب متباينة إلى غرض يتوسط فيه بين ان يعاتب المعتوب عليه من دون ان يواجه فيتغير غرض العتاب الى هجاء، وبين ان يطلب الابقاء على الود دون ان يصنع الشاعر نفسه موضوع المتوسل المستعطف. والعتاب من الأغراض الشعرية الدقيقة التي تختلف عن الأغراض الشعرية المعروفة الأخرى كالمديح، والفخر، والرثاء، والهجاء، والغزل. واذا تصفحنا في اوراق التاريخية لاغراض الشعرية العربية نجد ان فن العتاب في عصر ما قبل الإسلام ،كان غرضًا متفرقًا بين الأغراض الأخرى، فلم يكن غرضًا وجدانيًا قائمًا بذاته كباقي الأغراض، وان كان قد اخذ صورا متعددة وطرق موضوعات مختلفة وخاصة في شعر الأيام (الجبوري، 1974، صفحة 160). ويمثّل الشعر العربي الجاهلي نموذجًا رائعًا لحياة العرب الإجتماعية والسياسية والأدبية وقام الباحثون والعلماء بحفظ هذه الثروة. وكان العتاب في شعر الجاهلي يتضمن من لوم واستنكار لما يعكر صفو االمحبة لا ينقص من شأن الشاعر بين أفراد قبيلته، وقد كان لنظام القبيلة أثر في إبعاد الشاعر عن مزالق الضعف، والخذلان، والهوان فهو صحيفتها السائرة ولسانها الذي ينشر مفاخرها، وإذا ما شعر الشاعر بأن قبيلته قد قصرت في حقه فأنه سيعاتب ويلوم (الشايب، 1976، صفحة 34)، فإذا ما أحس الشاعر بالعداء من أفراد قبيلته كان العتاب أفضل الأغراض تعبيرا في مثل هكذا حال، كما هو واضح عند النابغة الذبياني حينما عاتب بنى مرة من قبيلة الشاعر ذبيان، لأنهم ظهروا العداوة له فقال معاتبًا (سميسم، 2015، صفحة 445) فيرد معاتبًا لهم في قصيدته تحت عنوان "ذات الصفا" فينشد ويقول:

أَلا أَبلِـــغا ذُبيـانَ عَنّـــي رِسالَـــةً ... فَقَد أَصبَحَت عَـن مَنهَجِ الحَقِّ جائِرَه
أَجِدَّكُمُ لَـــن تَزجُـروا عَـــن ظُلامَةٍ ... سَفيهاً وَلَـن تَـرعوا لِـــذي الوُدِّ آصِرَ
فَلَو شَهِـــدَت سَـــهمٌ وَأَبـــناءُ مالِكٍ ... فَتُعـــذِرُني مِـــن مُرَّةَ المُتَناصِـــرَه
لَجـــاؤوا بِجَـــمعٍ لَم يَرَ الناسُ مِثلَه ... تَضاءَلُ مِـــنـــهُ بِالعَشِيِّ قَصائِرَه
لَيَهنَأ لَكُم أَن قَـــد نَـــفَيتُـــم بُـيوتَـنا ... مُنَـــدّى عُبـَيـــدانَ المُحَـلِّإِ باقِرَه (الساتر، 1996، صفحة 119)

Adres
Kırklareli Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü, Kayalı Kampüsü-Kırklareli/TÜRKİYE
e-posta: editor@rumelide.com

Adress
Kırklareli University, Faculty of Arts and Sciences, Department of Turkish Language and Literature, Kayalı Campus-Kırklareli/TURKEY
e-mail: editor@rumelide.com

ونجد الشاعر زهير بن أبي سلمى يحث على عدم تكثر بالعتاب مثل الحقد والعدواة والاتهام بالجرم من الذنوبي، وسوف تبين لك ملامح الصداقة والعدواة في وجوههم ، يقصد هنا سيماؤهم في وجوههم فيقول:

ولا تكثرُ على ذي الضغنِ عتباً وَلا ذِكْرَ التّجَرّم للـــذّنُـوبِ
لا تَسْـألُـهُ عَمّا سَـــوْفَ يُـبدي وَلا عَنْ عَيْبِهِ لكَ بالمَـــغيبِ
مَـــتى تَكُ في صَـديقٍ أوْ عَدُوّ وتُخَبّرْكَ الوُجُوهُ عنِ القلوبِ (فاعور ع.، 1988، صفحة 29)

أما غرض العتاب في عصر صدر الإسلام نرى أن غرض العتاب كسائر الأغراض الشعرية تأثر بالمعاني الجديدة للدين الإسلامي.وقد تسللت إلى الأشعار كثير من معاني الإسلام وقيمه ومبادئه، كالعفو والتسامح والصفح والسلم والعطف (سميسم، 2015، صفحة 446). وهذا القيم والمبادء الاسلامية نراه في قصائد الشعراء هذا العصر، ومثال على ذلك قصيدة كعب بن زهير في عتاب كعب بن زهير لأخيه بجير الذي قبل الدعوة واسلم قال:

أَلا أَبلِـغا عَـنّي بُجَـيراً رِسالَةً فَهَل لَكَ فيما قُلتَ بِالخَيفِ هَل
شَرِبتَ مَعَ المَأمـونِ كَأساً رَوِيَّةً فَإِنـــهَلَكَ المـَأمـونُ مِنـها وَعَلَّكا
وَخالَفتَ أَسـبابَ الهُدى وَتَبِـعتَهُ فَإِنهَلَكَ الـمَأمونُ مِنـــها وَعَـلَّكا
عَلى خُلُـقٍ لَم تُلـفِ أُمّاً وَلا أَباً عَلَيهِ وَلَم تُـدرِك عَـلَيه أَخـاً لَكا (فاعور ع.، 1997، صفحة 4)

وفي عصر الاموي نجد غرض العتاب ذا الون السياسي الموجه الى القادة والامارة في تلك الفترة، وقد بدأ هذا العتاب السياسي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان. ومع تغيرات السياسية والإجتماعية في هذا العصر، تعدد المذاهب السياسية وكان له دور فعال في الشعر من حيث تغير عوامله والاغراضه. وشعر العتاب طرأ عليه التجديد والاتساع في موضوعاته وبواعثه، ومن هذا التجديد، هو عتاب الخلفاء ورجال الدولة، وهذا النوع من العتاب لك يكن موجودا من قبل (سميسم، 2015، صفحة 447). كما نجد عتاب عبدالله بن همّام السّولي لمعاوية بن أبي سفيان لما بايع لابنه يزيد بن معاوية بولاية العهد، ولامة لومًا شديدًا. فهو يلوم بني أمية بأنهم أضاعوا الرعية بأنشغالهم بهوم الصيد واللهو، وجعلوا الخلافة وراثة لال أبي سفيان يوصون بعضهم البعض، حتى إنهم يرغبون في تولية النسائهم و بناتهم ويقول ايضا ما الرعية إلا السمع والطاعة.فينشد ويقول:

لقـد ضاعَت رعيّـتُكُم لَـديكُم تَـدَرّونَ الأَرَانـــبَ غَـافِلِـيـــنا
إذا ما ماتَ كِسرَى قـامَ كِسْرَى نـــعـــدُّ ثَـــلاثَـــةً مُـتَتَابِـعِينَا
وكُلُّ النَّاسِ نحنُ مُـبَايِـــعُـوه وإن شِئتُم فَعـمّـكُمُ السَّـمِيـــنا
وإن جِـــئْـتُم بِرمْلَةَ أو بِـــهندٍ نُـــبَايِـــعهَا أَمـــيرةَ مؤمِنِينَا (السّراقبيّ، 1996، صفحة 36)

أما في العصر العباسي فقد تميّز الشعر بخصائص وميزات مختلفة عن الشعر في العصور الأخرى، وكانت بداية جديدة لفن الشعر بكل جوانبه، فقد تميّزَ في رقة العبارة في ألفاظ الشعر العباسيّ بالتطور والارتقاء، وتفنن في المعاني فالشعراء العباسيين تفنن بمعاني في أشعارهم، وذلك من أجل انسجام هذه المعاني مع روح عصرهم الجديد. والتوسع في البديع اللفظي لهذا أكثر الشعراء العباسيين من استخدام علوم البديع، وتفننوا في استعماله، ومن اهم مميزات هذه الفترة هي تجديد في الموضوعاته والبواعثه، فقد جدد الشعراء العباسيين موضوعات الشعر القديم، وعرضوا المواضيع بصورة عميقة، وأضافوا إليها الكثير من الأمور، وأخذ الشعراء يُطورون الشعر من كافة جوانبه، بغية تطوير فروع جديدة له. وكان غرض العتاب الذي جاء بأفكار وأنواع وصور متعددة وتصورات دفعت الكثير من الشعراء إلى هذا الغرض ولكن هذا العصر أدي إلى التحول من شعر غير المتكلف إلى شعر الصنعة المتكلفة والأهتمام بالشكل على حساب المعنى (جابر، 2013، صفحة 509). ومن الأمثلة الرائعة للعتاب في عصر العباسي هو للشاعر علي بن الجهم، فقد عاتب الخليفة أبو الفضل جعفر المتوكل على الله عتابًا لا يخلو من القسوة واللوم، فيقول

مـــا كانَ مِـــن حَسَنٍ فَأَنتُم أَهلُـــهُ طابَت مَغارِسُكُم وَطـــابَ المَحتِدُ
أَمِـــنَ السَـــوِيَّةِ يا اِبنَ عَـمِّ مُحَـمَّدٍ خَصـمٌ تُـقَـرِّبُـهُ وَآخَـرُ تُـبـعِـدُ
إِنَّ الَّذينَ سَـــعَـــوا إِلَيـــكَ بِباطِـــلٍ أَعـــداءُ نِعـمَتِـكَ الَّتي لا تُجحَدُ
شَهِدوا وَغِبنا عَـــنهُمُ فَـتَحَكَّموافينا وَلَـــيسَ كَـــغائِـبٍ مَـــن يَـشهَدُ
لَو يَجمَعُ الخَصـــمَينِ عِـندَكَ مَشهَدٌ يَوماً لَـــبانَ لَكَ الطَريقُ الأَقصَـدُ
فَبِأَيِّ ذَنـــبٍ أَصبَحَت أَعراضُنانَهباً يُـشـــيدُ بِـــها اللَـــئيمُ الأَوغَـــدُ (الجهم، ب.ط، الصفحات 46-47)

هنا الشاعر يعاتب الخليفة بانه قد خالف قواعد الشريعة، فأستمع إلى خصم ولم يستمع للآخر، وهو أولي الناس بأخذ أحكام الشريعة مما جعل يحيد عن الطريق السوى. ونجد ايضا في عصر العباسي باعث اخرى الى جانب بواعث السياسية عند الشعراء وهو غرض عتاب الاصدقاء، وقد شاع العتاب الاصدقاء بين أوساط الشعراء العباسيين والكتاب كثيرًا، ومثال على ذلك عتاب أبن مقلة* لعبدالله بن يحيى الكاتب، "ويقول أبي عبدالله بن يحيى الكاتب قال: لـمّا نكب أبو الحسن بن الفرات أبا علي بن مقلة في وزارته لم أدخل إليه في حبسه، ولا كاتبته متوجّعًا له، ولا راسلته خوفًا من أن يلقي ذلك إلى ابن الفرات. وكانت بيني وبين ابن مقلة مودّة لطيفة، فلـمّا طالت نكبته كتب إليَّ رقعة طويلة فيها قال: (البصري، 1971، صفحة 73):

*ابن مقلة :هو محمد بن علي بن الحسين من أوائل من كيفوا الخط العربي فسارت الأمثال بحسن خطه ووزر للمقتدر ، والقاهر توفي سنة 328هـ

تُرَى حُرمتْ كُتْبُ الأخـلاَء بينـهم أبنْ لِي، أم القِرطاسُ أصبحَ غاليا
فمـــاكـــان لوساءلتنا كيف حالُنا وقـــد دَهَمَتْنَا نَكْبة هـي مـا هـيا
صديقُك مَن راعاك عند شـديـدة وكل تـــراه في الرخاء مُراعِيَاَ
فهَبْكَ عدوي لا صـــديقي فإنـني رأيت الأعادي يرحَمون الأعـاديا

وشهد الشعر في العصرين المملوكي والعثماني من حيث الاغراض الشعرية، فقد تناول الشعراء في العهدين نفس الأغراض التي عرفت من قبل وأضاف إليها كل ما جد من حياتهم اليومية ومن تغيرات في ساحة السياسية والإجتماعية، ونظموا في مختلف أغراض الشعرية المعرفة منها " المديح، الرثاء، الغزل، الوصف، الحماسة، الهجاء، والزهد والتصوف، والحكمة، والخمريات، والغزل الماجن، والأخوانيات" وكثرة في اشعارهم موضوعات مراثي و تهاني وتحذير و تحريض والشكوى والسخرية والاستهداء، وغرض العتاب كان له حض اوفر عند شعراء العصرين المملوكي والعثماني من حيث تجديد في دلالاته وموضوعاته، فكان العتاب غرض جزئي يظهر أحيانًا ضمن القصائد التي يغلب عليها الطابع الإخوانيات والصدقة بين الشاعر وغيره ممن تربطة معهم رابطة الوفاء والإخلاص، وتطرق شعراء الى موضوعات مختلف من العتاب منه عتاب الحبيب والخليل والدهر والأحوال، ومن العتاب الصديق عتاب أبن حجة لصديقه المقر الاشرف الأميني (عمر م.، 2008) صاحب ديوان الإنشاء بدمشق، وقال:

مَن بـأسيافِ هجرِهـم كَـلَـمُـونا مـا علـيـهم لـو أنهم كلَّمُونا
غـلَـقـوا بـابَ نـصحهمْ فتح الله لهم بالهـنـاءِ فـتحـا مُبيـنـا
مـلكـوا رقـنـا فـصرنـا عبيدا ليتـهـم بعد رقـنا كاتبـونا

من ابرز شعراء في عصر العثماني قال الشعر في غرض العتاب هو الشاعر عبد الحق الحمصيّ الشهير بالحجازي، يعاتب صديقه الشاعر محمد بن الفوازي. كان كثيرًا ما يألف الشيخ محمد الحجازيّ، مفتي الشافعية بدمشق وولده عبدالحق، وكان عبدالحق يقرأ عليه وانتفع به، وكان يراسله فممّا كتبه الفوازي إليه وقد انقطع عن صحبته أيامًا لجفوة صدرت منه وتعتب عليه في المهاجرة: فينشد ويقول: (موسى، 1995، صفحة 1117).

يـا غـائـبـا والـذنـب ذنبك مُـتعـقِّـبًا ، لله ربُّـــك
لا تـــبـعـدَنَّ فـــإنـمـا أملي مـــن الأيـــام قُربُـكْ
فـــلاَ صـــبرَنَّ وأرْضَـينْ نَ بـــما قضاهُ اللهُ رَبُّـــكْ

وعندما نبحث عن بدايات نضوج الشعر العربي في عصر الحديق نجد ان الشعر الحديث قد امتاز عن الشعر القديم بابتعاده عن التبعيّة والتقليد، والزخرفة، وكما اختلف عن الشعر القديم من ناحية الأسلوب، والموضوعات، والمضمون، والخصائص، ومن اهم خصائص قد تميز به هو الابتعاد عن الاغراض الشعرية القديمة منها الفخر والمدح الشخصي، مع ظهور موضوعات آخرى مثل الشعر الوطنيّ والشعر الشعبيّ، والشعر التاريخي، والشعر التعليمي والشعر الإصلاح والشعر التمثيلي، وايضا نجد في اشعارهم الإكثار من السخرية وأسبابها والشكوى من الحبيب او الصديق او من ظروف بلدهم والى جانب هذه الموضوعات نلاحظ ان غرض العتاب اخذ مكانه ما بين الاغراض الشعرية الحديثة، وعتابهم يمحور حول عتاب الصديق والقادة وعتاب من الزمن والدهر والعتاب من الحبيب أو الحبيبية. ومثال في غرض العتاب في هذا العصر، فهذا إبراهيم طوقان يوجه سهام العتاب في قصيدة "عتاب إلى شعراء مصر" ويعاتب كل من أمير الشعراء أحمد الشوقي وحافظ أبراهيم وخليل مطران، يعاتبهم لأنهم لم ينبروا للدفاع عن قضية القدس وفلسطين فيقول:

جِـــئْتُكُمْ عاتِباً بـلابلَ مِـصْر بُـلـبلُ الرَّوضِ عَتْبُهُ أَلـحانُ
كـــم بـــلادٍ تَهُزُّكُمْ لـيس فيها لـــكـــمُ جِـيْـرةٌ ولا إخوانُ
خَطْـــبُنا لا يَهُزُّ شوقـــي ولكن جاءَ (روما) فـهـزَّه الرُّومانُ
خطـــبُنا لا يـــهزُّ حـافظَ إبـرا هيمَ, لـــكن تَـــهُزُّهُ اليابـــانُ
ما لِمُطرانَ يا فلسطـيـنُ شأنٌ بِـكِ لكنْ لـهُ (بِنَيْرونَ) شـــانُ (طوقان، 2012، الصفحات 74-75)

البارودي؛ المولد والنشأة

مولده؛ وُلد الشاعر ***محمود سامي باشا البارودي*** بمصر لأبوين من الجركسة في 27 من شهر رجب سنة (1255هـــ -1839م). وأسم أبوه هو حسن حسني بك البارودي من أُمراء المدفعيّة، ثم صار مديرًا لبربر ودَنقلة في سودان في عهد محمد علي باشا والي مصر. وجدّه هو عبدالله بك الأصل الجركسي، وكان جده كاشفا في عهد محمد علي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 6). أما بخصوص لقبهُ **"البارودي"** فنسبتة إلى إيتاى البارود وهي بلدة من أعمال مديرية البحيرة بمصر، كان أحد أجداده وهو الأمير مراد البارودي بن يوسف جاويش ملتزما لها فنسب إليها على العادة في ذلك (هدارة م.، 1992، صفحة 17). وكان أجداد البارودي يرقون إلى حكَّام مصر المماليك، والشاعر كان شديد الحرص بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله، فكان لقبه أثر كبير في جميع مراحل حياته. والشاعر تيتّم صغيرًا في السن وكان عمره في السابعة عندما توفي والده في سودان.

مراحل دراسته؛ والشاعر تيتّم صغيرًا وحرم من العطف الأبويّ منذ نعومة أظفاره، ومات أبوه في سودان والشاعر في السابعة من عمره، " وكلفه بعض أهله وضمّوه إليهم" (الجارم و معروف، 1998، صفحة 6). وقد تلقّى في بيتهم دراسته الأولى ما بين الثامنة والثانية عشرة من عمره. وأتم دراسته الابتدائية عام 1851م، ثم التحق البارودي بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك و ابناء الطبقة الحاكمة ، فيها يدرس فنون

الحرب، وعلوم الدين واللغة والرياضيات، وتخرج من المدرسة الحربية سنة 1854م وهو في السادسة عشرة من عمره (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 22). ولم يستطع محمود سامي الباروي من أكمال استكمال دراسته العليا، والتحق بالجيش. ورحل الشاعر إلى إسطنبول في عام 1857، وفي أثناء إقامته هناك تمكن من إتقان اللغة التركية واللغة الفارسية ومطالعة آدابهما، وحفظ كثيرًا من أشعارهما.

مراحل عمله؛ ومن خلال اجادة اللغة التركية الالتحاق بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية وظل هناك نحو سبع سنوات 1857-1863. ثم عاد إلى مصر في فبراير 1863. عينه الخديوي إسماعيل معينا لأحمد خيري باشا على إدارة المكاتبات بين مصر و إسطنبول. وثم ارتقى محمود سامي البارودي في مناصب الجيش في مصر حتى وصل إلى رتبة " قائمقام" في فرسان الحرس الخاص، ثم الي رتبة " أميرالاي" ليستلم قيادة الفيلق الرابع من عسكر حرس الخديوي إسماعيل الخاص، وأثبت قدرته العسكرية العالية، حيث شارك في عام 1865م في حملة العسكرية لمساندة الجيش التركي في إخماد الفتنة التي نشبت في جزيرة كريد، واستمر عامين في تلك المهمة حيث أبلى بلاء حسنًا (الجارم و معروف، 1998، الصفحات 10-11). وتلقب البارودي في مناصب الدولة، وكان ذا حظوة لدى الخديوي إسماعيل، "فأتخذه كاتم سره، وسافر في رحلتين سياسيتين إلى تركيا في مهمة خاصة، ومكث مع الخديوي إسماعيل اثنى عشرة سنة يشاركه في حكم مصر، وتدبير شئونها" (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 24). وعندما أعلنت روسيا الحرب على تركيا في عام 1878م، وأرسل الخديوي إسماعيل البارودي مع الجيش لمساعدة الخليفة في حربه مع روسيا، وأبلي البارودي واجبه في معركة بلاء حسنًا، فحصل على رتبة" اللواء" وبعدة أوسمة الشجاعة. ثم عاد من حرب البلقان، وهو في سن الأربعين، فعين مديرًا للشرقية ثم اصبح محافظًا للعاصمة.

وفاته؛ تقلب البارودي في مناصب إدارية وسياسية كثيرة انتهت به إلى رئاسة النظار. واستقال البارودي ولما بدأت "الثورة العربية" كان هو في صفوف الثائرين ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى "جزيرة سيلان" حيث أقام سبعة عشر عامًا أكثرها في "كندي" تعلم الإنجليزية في خلالها، وترجم عنها كتبًا إلى العربية، وكفّ بصره. وعفى عنه سنة (1317هـ - 1899م) فعاد إلى مصر (الزركلي، 2002، صفحة 171/7)، وكانت فرحته غامرة بعودته إلى الوطن وأنشد قصيدة العودة التي قال في فيها :

أبابلُ رَأىَ الـــعيـــنِ أم هذهِ مِـــصرُ ... فإنّي أرى فيها عيـــوناً هىَ السِـحرُ

نَوَاعِس أَيْـــقَظْنَ الْهَـــوَى بِلَـوَاحِـظٍ ... تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِـيـضُ وَالسُّـمْـرُ

فليسَ لعـــقلٍ دونَ سُلطـــانِها حِـمىً ... ولا لـــفـــؤادٍ دونَ غِـشيانِها سِـــترُ

فَإِنْ يَكُ مُـوسى أَبْطَلَ السِّـحْـرَ مَـرَّةً ... فـذلِكَ عصرُ المعجِزاتِ، وذا عـصرُ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 29)

واستقبلته مصر بكل حفاوة وترحاب، وكانت عودته عيدًا للأدب العربي الرفيع، وصارت بيته ندوة يؤمها الأدباء والشعراء القدامى والشادون فيه. ومنهم: شوقي وحافظ ومطران، وإسماعيل صبري وكان يستمع إليهم، ويسمعون منه، وقد تأثروا به ونسجوا على طريقته، فخطوا بالشعر خطوات واسعة، وأُطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الإحياء". وعكف على تنقيح ديوانه، وحذف مالا يروقه منه، وتدوين مختاراته، وترتيبها، وأخيرًا سلمت روحه إلى بارئها، وتفي في(شوال سنة 1322ه ، ديسمبر سنة 1904م) (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 25)-

شخصيته وثقافته الادبية؛ من خلال ما قدَّمنا من مراحل حياة البارودي، يتضح لنا بان هناك عوامل كثيرة اشتركت في تكوين شخصيته الأدبية، منها ما ترك أثرًا عميقًا في نفسه، ومنها ما وقف عند السطح والظاهرة، فلم يترك أثرًا بعيدًا لا في نفسه ولا في شعره. وإحساسه بكرم أصله، واعتزازه بماضي أسلافه من المماليك الذين عرفوا بالفروسية والشجاعة، ويري شوقي ضيف ان "أول ما يلاحظ في شخصيته هو عنصر الشركسي، كان له حكم مصر في وقت من الأوقات، وأورثه هذا العنصر حدة في المزاج وطموحًا واسعًا وميلًا إلى حياة الحرب والفروسية" (ضيف، 2006، صفحة 86). وسعة آمال الشاعر وطموحه في الحياة، قد كان عالي الهمة، وطمّاح النفس. والبارودي نشئ نشأة العسكرية، فكان لهذه النشأة، وهذا النسب أثر عميق في أخلاق وتعامل البارودي. ولكن الزمن وصروفه قد رجعت في هذه الأخلاق، ولا سيما ما يتعلق منها في تعاملاته مع الناس، فأخذ يجاريهم ويداريهم، على أن كثيرًا من صفاته الطبيعة ظلت ثابتة لم تتغير حتى وفاته (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 26).

وعامل آخر هو إهتمامه بشعر العربي القديم و قراءاته في الشعراء العربي القديم، حيث وجد فيه مظاهر البطولة، ومخايل الشهامة. وإلمامه بثقافات عديدة مثل اطلاعه على الآداب التركية والفارسية والإنجليزية، وهذا يعود على انه اثناء عمله في العسكرية سافرَ إلى أوربا و شهدا معالم الحياة الأوربية. ويشبه دكتور شوقي ضيف "بشعراء العباسيين الذين كانوا يلمون بالثقافات الأجنبية المعروفة لعصورهم، وإن كان من المحقق أنه لم يتأثر في شعره تأثرًا واضحًا بما ألم به من ثقافات غير الثقافة العربية؛ وتضي إلى شخصيته شيئًا جديدًا لا نراه عند شعراء معاصريه من الشعراء المصريين" (ضيف، 2006، الصفحات 86-87).

ومن عوامل آخرى كان له اثر كبير في تكوين شخصيته الادبية هو عنصر الحياة المصرية التي اضطرب في مشاهدها الطبيعة وأحداثها القومية والسياسية، أثرت هذه البيئة في روحه وكيانه الأدبي (عويضة، 1994، صفحة 57). وعامل اساسي آخرى في شخصية البارودي هو الثقافة الثقافة الإسلامية التي قوامها القرآن الكريم وعلومه، الذي درسه في مقتبل عمره (شيف، ب.ت، صفحة 97).

شعره؛ يعتبر محمود سامي باشا البارودي شاعر السيف والقلم ورائد الشعر العربي الحديث الذي جدّد في القصيدة العربية من حيث الشكل والمضمون، حيث نهض به نهضة عالية، فقد ابتعد من قيوده صنعة البديعية وأغراضه الضيقة، ووصله بروائعه القديمة وصياغتها المحكمة، وربطه موضوعات شعره بحياته وحياة شعبه. من خلال الضوء على عناصر شخصيته، يرى دكتور شوقي ضيف " ان قوة العنصر العربي المكتسب، وهذا عنصر لم يكتسبه بطريقة التعلم على أساتذة اللغة العربية والأدب في عصره، وإنما اكتسبه بطريق مباشرة؛ هي قراءة النماذج القديمة من الشعر العربي من شعراء الجاهليين، وشعراء صدر الاسلام وشعراء العباسيين، وما زال يقرأ فيها حتى استقرت في نفسه سليقة الشعر العربي الأصيلة، فصدر عنها في نظمه وشعره" (ضيف، 2006، صفحة 82).

ويصف الشيخ حسين المرصفى استاذه وصديقه اسلوب البارورردي ويقول "لم يقرأ كتابًا في فن من فنون العربية، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلًا إلى قراءة الشعر وعمله، فكان يستمع إلى بعض مَن له دراية، وهو يقرأ بعض الدواوين، أو يقرأ بحضرته، حتى تصور في برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية، ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيه المعاني، والتعليقات المختلفة، فصار يقرأ، ولا

يكاد يلحن. ثم استقل بقراءة دواوين الشعر ومشاهير الشعراء من العرب، حتى حفظ الكثير منها دون كلفة، واستثبت جميع معانيها ناقدًا شريفها من خسيسها، واقفًا على صوابها وخطئها" (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 30).

وعندما نبحث في صفحات ديوانه نجد ان قصائده هي سيرة لحياته، فلكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم. وقد عرف لنا البارودي الشعر في مقدمة ديوانه فقال: "ان الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب، فتفيض بالانهار نورًا يتصل بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة، ينبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك. وخير الكلام ما ائتلفت الفاظه واختلفت معانيه، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى سليمًا من وصمة. التكلف، بريئًا من عشوةالتعسف، غنيًا من مرتجعة الفكرة، فهذا صفة الشعر الجيد، فمن آتاه الله منه حظًا، وكان كريم الشمائل، طاهر النفس، فقد ملك أعنة القلوب، ونال مودة النفوس، وصار بين قومه كالغرة في الجواد الادهم، والبدر ف يالظلام الأيهم " (الجارم و معروف، 1998، الصفحات 33-34).

الشعر عند البارودي ديوان الأخلاق والقيم الإنسانية وتعبير عن توجيهاته الفكرية النابعة عن وطنيته. ويري ايضًا ان وظيفة الشعر" وظيفة الإجتماعية والنفسية في تهذيب النفوس، وتدريب الأفهام وتنبية الخواطر إلى مكارم الأخلاق" (الدسوقي، في الادب العربي الحديث، 1973، صفحة 235) ، ويؤثر تأثيرًا بالغًا في نفوس الناس ذلك انه ترجمان الروح ويفصح عن كل ما يجري لبها من أحاسيس ومشاعر وخواطر وأحلام وآالام وآمال. وفي مقدمة ديوانه يقول البارودي وهو يصف اهتمام الناس بشعر والادب، وكيف هو ايضا ارتقى الى معالى الشعر والتخلق، وهو يقول " للإنسان فُنُون بشعره، وولوع ببنات فكره، ولولا ذلك ما دون الناس أشعارهم، ولا اتخذوا جلية الأدب شعارهم، كيف لا؟ وبقاء الذِّكرة الأبد، وحبُّ الخُلود أطمع أطمع أُلقمان في لبد، وإنِّـي وإن لم أكن من فُرسانِ هذه الغارة، ولا رُماةِ الحدَق في مثل هذه القارة، فالتخلق بأخلاق الكرام محمدة، والتعلق بأذيال الخمول مفسدة " (الجارم و معروف، 1998، الصفحات 36-37)

ونظم البارودي شعره في كل موضوعات القديمة في " الفخر، والمدح، والهجاء، والرثاء، والوصف، والعتب، والزهد، "، وباعثًا في نهج الشعر العربي القديم، وكل ما نظمه كان مرتبة بحياته، فنجده الضابط العسكري الشجاع، والثائر والغاضب على الظلم، والمنفى والمغترب عن الوطن وعن الاقارب، صريح الحب، والأب الحنون، والصديق معاتب. والى جانب موضوعات القديمة استطاع الشاعر عن يضيف اغراض آخرى مثل الشعر السياسي والشعر الإجتماعي ، والشعر التاريخي والتعليمي، ونستطيع ان نقول ان البارودي هو أول من طرق الشعر السياسي والوطني في العصر الحديث، فقد فتح بابًا جديدًا لموضوعات القصيدة العربية الحديثة. وكان البارودي دقيقًا في اختيار الكلمات والألفاظ المناسبة في شعره ، لهذا ويقول دكتور عمر الدسوقي: " كان البارودي يتخير الألفاظ المناسبة للمعاني التي يريدها، فيرقّ ويلطف حين يقضي المقام الرقة واللطف وكأن يتغزل أو يعتب، أو يصف منظرًا جميلًا أو مجالس أنس وسمر، ويجزل شعره ويجلجل لفظه، ويشتد أسرخ حين ينشد في الحماسة، و الفخر والمدي. ومن مميزات الباروردي وهو شاعر كان يهتف بشعره قبل أن يخرج للناس، ويصغي إليه ليتبين ما فيه من عيوب في الموسيقى وعدم انسجام الألفاظ بعضها مع بعض، والقافية القلقة المضطربة، والحشو، وغير ذلك من عيوب الشعر (الدسوقي، في الادب العربي الحديث، 1973، الصفحات 238-239). وينشد رأيه في الشعر في قصيدة "الشعر زين المرء" ويقول:

الشِّعْرُ زَيْنُ الْمَـــرْءِ مَـــا لَمْ يَكُـــنْ ... وَسِيـــلَةً لِلْـــمَـــدْحِ وَالـــــذَّامِ
قَـــدْ طَالَمَـــا عَـــزَّ بِـــهِ مَـــعْشَـــرٌ ... وَرُبَّـمَـــا أَزْرَى بِـــأَقْـــــوَامِ
فَاجْعَلْهُ فِيمَا شِئْـــتَ مِـــنْ حِـــكْـــمَةٍ ... أَوْ عِـــظَـــةٍ أَوْ حَسَـــبٍ نَامِـــي
وَاهْتِفْ بِهِ مِـــنْ قَـــبْلِ إِطْلَاقِهِ ... فَالسَّـهْمُ مَنْـسُـوبٌ إِلَـــى الرَّامِي (الجارم و معروف، 1998، الصفحات 599-600)

البارودي كان يحافظ على هذا الفن الادبي، وكان دائما يحث الشباب على اهتمام بشعر ويجهدو في تقديم الافضل، وحثهم ايضا على محافظتهم على اصول الشعر من اختيار الالفاظ المنقمة والمعاني السامية، والباروردي نفسه كان من المؤمنين " بأن الفن تهذيب وصقل، وجهد متصل، وتحسين مستمر، وأن الطبع وحده لا يكفي؛ وذلك كان يتعهد بالتهذيب والرعاية" (الدسوقي، في الادب العربي الحديث، 1973، صفحة 237). وقد سمعت بانه ثبت واقر ديوانه بعد عودته من المنفى، وأعادة النظر وصياغة قصائده فيما قاله من قبل، ونجد بانه قد حذفت الأبيات التي لم تَرُقه، وعمل هذا من اجل لا يخلف للأجيال القادمة إلا الشعر المهذب لفظًا و معنى.

آثاره؛ للبارودي مجموعة من مؤلفات منها:

1- ديوان الشعر؛ تتراوح عدد أبياته إلى خمسة آلاف بيت، لكن البارودي قبل وفاته عكف على تنقيح وترتيب، ومراجعت وشرح، والتعليق على ديوانه، وقد قامت زوجنه* بالإنفاق على طبعة الديوان، وفقد طبعت على جزءان، ثم كلفت وزراة المعارف المصرية كل من السيدين على الجارم، ومحمد شفيق معروف بطبع الديوان، وشرح غريبه، وظبطه، وتصحيحه، وقد صدر من هذه الطبعة جزاءن كذلك أولهما في سنة 1940 ، وثانيه في سنة 1942 (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 33). وكثير من موضوعاتها عن الفخر، والغربة والحنين، والحماسة، والوصف، والعتاب والشكوى، وشعر السياسي والوطني. وبشكل عام ينقسم شعره الى قسيمين، قسم الأول ما انشده عن مصر قبل نفيه، أما القسم الثاني فتتعلق موضوعات شعره عندما كان في منفى.
2- مختارات البارودي؛ مجموع من مقتطفات الشعرية يبلغ نحو 40 ألف بيت لثلاثين شاعرًا من الشعر العباسي، ، وكما قال البارودي في مقدمة كتابه " لقد جمعت هذا ما اخترته من شعر ثلاثين شاعرًا من فحول الشعراء المولدين وهم : بشارد بن برد، العباس بن الاحنف، أبو نواس، مسلم بن الوليد...، سبط ابن التعاويذى، وأبنُ عنين" (هدارة، مختارات البارودي، 1992، صفحة 29) ، وقد رتَّبه على سبعة أبواب" الأدب، المديح، الرثاء، الصفات، النسب، الهجاء، الزهدة. طبع الجزء الاول والجزء الثاني في عام 1909م في مطبعة الجريدة في مصر، أما الجزء الثالث والرابع فقد طبع ايضا في مطبعة الجريدة في مصر سنة 1911م.

* (أمينة هاشم سامي) هي زوجة الثانية لبارودي تزوجها في منفى وهي كريمة يعقوب باشا سامي أحد الوزراء والثوار العرابيين فقد نفى مع من نفى إلى سيلان وأدركته المنية في خلال سنوات النفي فدفن هناك في سنة 1883م، ينظر محمود سامي البارودي، عمر الدسوقي، ص33.

3- "قيد الأوابد" وهو كتاب من مختارات النثري جمع فيها عيون رسائله وخطبه وتوقعياته وخواطره بأسلوب مسجوع، ويصف فيها مسيرة المنفي. لكن أن هذه المحتارات لم يظهر لنا في ساحة الادبية، ولا تزال بحاجة إلى بعث و كشف عن اسرار هذه المجموعة الفنية.

4- كتاب " كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة" وهو كتاب يتضمن ما نظمه البارودي من مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وتقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا، وهي قصيدة بديعة للشاعر، ضمّنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستمدة من كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، فاجتمع في هذه القصيدة جمال الشعر وجلال المضمون وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة، قافية ووزنا وسماها. وطبعة بمطبعة الجريدة- بسراي البارودي بغيط العدة بمصر سنة 1327 هجرية اي 1909 ميلادي. وفي مطلع القصيدة قال: (البارودي، كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة، 1909، صفحة 3)

يا رَائِـدَ الـبَرقِ يَمّـمِ دارَةَ الـــعَلَمِ وَاحـــدُ الـــغَمامَ إلـى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

وَإن مَرَرتَ عَلى الرَّوحاءِ فَامرِ لَها أَخـلافَ سـارِيَةٍ هَـتّـــانَةِ الـــدِّيَمِ

غرض العتاب عند البارودي

حوى ديوان البارودي على عدد كبير من القصائد التي تضمنت أغراض الشعرية المختلفة سواء كان اغراض شعرية قديمة أو جديدة. وهذا يدل على شاعريته عظيمة وزاخرة، ومقدرته عظيم على التعبير، وبراعته في كلام ، واضافة الى ذلك كان تلبيته النفسية تتفاعل مع كل الاحداث عاش في حياته. ومن خلال ذلك تعددت اغراضه الشعرية وتنوعت. ومن بين الاغراض الشعرية التي انتبينا اليه في صفحات ديوانه هي غرض العتاب، ومعلوم ان العتاب غرض شعري عربي قديم ظهر في عصر الجاهلي، وتطور عبر عصور الادبية سواء كان في شعر أو نثر، والعتاب فن وجداني يظهر الشاعر لومه واستنكاره و شكواه واحيانًا يظهر ضعفه لما يعكر صفو لا يفض من شأن الشاعر بين أفراد قبيلته. وما رأيناه في ديوان البارورديي انه قد ذكر العتاب في عدة مواضع، وما يقارب حولي خمسة واربعون مرة تلفظ بكلمة العتاب وما يشتاق منه من معاني ومرادفتها. وذكرى موضوعات مختلفة، فكان يعاتب ويلوم ويشتكي في الحبيب والخليل والدهر والشعب والقادة السياسيين والشعب والاحوال. وسنحاول ان نقسم موضوعات العتاب على الاتي:

العتاب الإجتماعي

يبنى المجتمع على علاقات سليمة بين الافراد المجتمع، حيث يقوم كل فرد دوره وواجباته نحو بناء مجتمع صحيح، وحين تفقد الفرد جميع السبل الودّية يبدأ الشخص بعتاب والوم وشكوى، فالعتاب الإجتماعي هو موضوع يحتوي كل المحيط الإجتماعي للشاعر، منها مشاكل المجتمع، وافراد المجتمع من خلال طبعهم وتسرفاتهم وطباقاتهم، والأقارب والاصدقاء، والعلماء والشباب، لهذا نجد ان العتاب الإجتماعي هو اوسع مواضيع في فن العتاب، "*فضلا عن تحرره في أطلاق عواطفه والتعبير عن مكنون وجدتنه دون ذلك الحرج الذي يلاقية في العتاب السياسي*" (سميسم، 2015، صفحة 453). ويختلف أسلوب العتاب بأختلاف أسلوب الشاعر وعواملة، ويتجلى أسلوب العتاب عند محمود سامي البارودي الى جرأة وجدارة وكان متوازنا بين عواطفه وعواطف المعاتبن وكان اسلوبه رقيقا حين يعاتب فردًا او مجتمعًا حتى لا يشعر المعاتب بالحقد والتقاطع فيرتاح ويريح ما في ضميره، وكان يحاول دائما ان يحافظ على المودة وشعور بالرحمة وصداقة. وعندما كان في منفى انشد قصيدة يعاتب به احبته الذين قاموا بقطيعته ونسيانه، حيث يقول:

يـــا غاضبينَ علينا ! هلْ إلى عـدةٍ بالـوصلِ يـــومٌ أنـــاغـــي فـيـــهِ إقـبالي

غِبْتُـــمْ؛ فَـــأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِـكُمْ وَســـاءَ صنـــعُ اللـــيـــالي بـعدَ إجـمالِ

قَدْ كُنْـتُ أَحْسِبُنـــي مِـــنْكُمْ عَلى ثِقَةٍ حـتى مـــنيـتُ بـــما لمْ يـــجرِ في بـــالي

لَمْ أَجْـــنِ فِي الْحُبِّ ذَنْباً أَسْتَـحِقُّ بِهِ عتباً ، ولـــكـــنها تحـــريـــفُ أقـــوالِ

فَكَيْفَ يُنْكِرُ قَوْمِـي فَضْلَ بَـادِرَتِـي وَقَـــدْ سَرَتْ حِـــكَمي فِيهِمْ، وَأَمْـثَـالِي؟ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 446)

كان البارودي يظن أن الصلة والتقارب بينه وبين المعاتبين محكمة، والمحبة خالص، والبر والوفاء كاملان دائمان في العسر واليسر، والشدة والرخاء؛ وعندما نفي وابتعد عن اخواني، ابتُليّ بما لم يكن يتوقعه من البعد والهجران، والصدود والنسيان، فخاب الأمل عنده وتزعزت الثقة، واشتد به الكرب والبلاء، نلاحظ ان معاتبة رقيقة لا شحوة فيها لم تنفر من الصديق ولم تبعد عنه المحب بحيث ينسى العتاب ويتحول الى دفاع عن موقفه ويثبت انه على صواب لا يؤتي ثمرته من رجائه.

وفي قصيدة اخرى يصف لنا عن ايام شباب وعن اصدقائه، ويشير الى ان مر زمانا طويلاً وعاش فيه حلو الحياة ومرّها، جرَّب أُمُورهُ خيرها وشرَّها ، وعاشرت كثير من الاصدقاء سواء على حكم الانسانية أو تغافل منه، ولم اجد منهم الظريف والنجيب، حتى لا للومه ولا عاتبه.

حَلَـــبْتُ الـدَّهْرَ أَشْـطُـرَهُ مَلِيّاً وَذُقْتُ الْـعَيْشَ مِـنْ أَرْيٍ وَصـابِ

فَمَا أَبْصَرْتُ فِـــي الإِخْـوَانِ نَدْبَاً يَجِـلُّ عَـنِ الْـــمَلامَـةِ وَالْـــعِتَـابِ

وَلَكِنَّـا نُعَـاشِـرُ مَـــنْ لَقِـــيـنَـا عَلَى حُـــكْمِ الْـمُـرُوءَةِ وَالتَغَابِي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 66)

في حرب بين روسيا وتركيا 1877م، ينتقل البارودي إلى إقليم"دبريجة" في بلغارية، وساند الخديوي اسماعيل تركيا بجيشه، وكان البارودي من كبار ضباطها وعندما كان في بلغارية*"يممن البريد في التأخر الرسائل، كتب البارودي لابناء وده كتابا ولم تصل اليهم، وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالإجابة"* (المرصفي، 1292 هجرية، صفحة 497)، فكتب قصديته الثانية إلى الشيخ حسين المرصفي* وفيها يعتب ويلوم ويشكو ويتألم، ويصف حاله على البعد وقد انقضت بشاشة العيش وساء المقام، ويتمنى أن يكون حرف من حروف التلغراف أو ريشة بين خوافى الحمام. ويبدأ بمطلع.

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ، إلَى كَمْ تَنَامْ؟ أسهرتني فيكَ ، وَ نامَ الأنامْ
أُوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقَضِي وَالعينُ لاَ تعرفُ طيبَ المنامْ

يضيف ويقول:

لاَ كتبهُ تترى، وَ لاَ رسلهُ تأتي، وَلاَ الطيفُ يوافى لمامْ
الله في عينٍ جفاها الكرى فِيكُمْ، وَقَلْبٍ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامْ
طالَ النوى منْ بعدكمْ، وانقضتْ بَشَاشَةُ الْعَيْشِ، وَسَاءَ الْمُقَامْ
أرتاحُ إنْ مرَّ نسيمُ الصبا و البرءُ لي فيهِ معاً، وَ السقامْ
يَا لَيْتَنِي فِي السِّلْكِ حَرْفٌ سَرَى أوْ ريشةٌبينَ خوافي الحمامْ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 544.543)

ومن عتاب الاخوانياته يقول :

إنِّي إذَا مَا الْخِلُّ خاسَ بِعَهْدِهِ بَعدَ الودادِ فَلَسِتُ مِنْ أَصْحَابِهِ
وإذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ ثُمَّتَ لَمْ يَعُدْ عَنْ غَيِّهِ لَمْ أَكْتَرِثْ لَعِتَابِهِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 82.81)

في هذا البيت يعاتب صديقه الذي كان وفيّ و مخلصا معه لكم هذا الصديق قدنقض وخان عن وفائه وعن صداقته، ويقول بعد ان عاتبته عليه هو لم يرجع عن ظلاله، لهذا اكثرت في عتابه مرة اخرى.

وقال في رجُلٍ اغتَابَهُ:

لا أُجازِيكَ بِالَّذِي خُضْتَ فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَلا أَمُضُّكَ عَتْبَا
غَفَرَ اللهُ لِي إذَا كَانَ صِدْقاً وَعَفَا اللهُ عَنْكَ إنْ كَانَ كِذْبَا (الجارم و معروف، 1998، صفحة 83)

وفي قصيدة اخرى انشد قصيدة يعاتبُ صديقًا، وهو ايضا من عتاب الاخوانياته:

أتاني أنَّ " عبدَ اللهِ " أَصغَى إلَى وَاشٍ؛ فَغَيَّرَهُ عَلَيَّا
وَمَا عَهْدِي بِهِ غِرّاً، وَلَكِنْ تَوَلَّتْ أَمْرَ فِطْنَتِهِ الْحُمَيَّا
فقلتُ لهُ : تثبتْ تلقَ رشداً فَكَمْ مِنْ سُرْعَةٍ وَهَبَتْكَ غَيَّا
فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفتَ وِدَادَ قَلْبِي إليكَ، لجئتَ معتذراً إليّا (الجارم و معروف، 1998، صفحة 729.728)

يقول بانه يعرف الشخص المعاتب بانه فطينًا ويقظًا، جيد الفهم، ولكن استماعه للواشي اي الشخص الذي يزوّر كلامه، ويزخرفه بكلام الكذب؛ ليفسد به بين الناس، وتأثره بالوشاية أغضبه عليّ بلا حق؛ فكدرت سورة الغضب ذهنه، وسيطرت على فطنته. ثم يقول بانه قالت له لا تستعجل في الهداية وفي اصلاح لانه اغوتك واضلتط وصرفتك عن الرشد والهدى، والسداد والصواب، ويخاطبه بانه اذا عرف المودة والمحبة اليك لجئت اليّ معتذرا وانا كنت اقبل معذرتك.

اما بخصوص عتابه لقومه، فقد انشد قصيدة يمدح نفسه ثم يعارض ويعاتب قومه، ويتعجب بان وانهم يبتغون في منزلته، و يرفض ابتغائهم غير ممكن وغير مقبول، وطمع في البعيد الذي لا يستطيعونه؛ لكبر درجات واتساع المسافة بينهم بينه، ويعاتبهم بانهم كلهم اجتمعوا حول شكوى واحدة، ويقول:" إذا ما رأوني مقبلًا عليهم اجتمعوا، وأقاموا على الشكوى والتحسر والتألم" (الجارم و معروف، 1998، صفحة 720). أن نقيضهم عن بلوغ غايته، وعجزهم عن إدارك مسعاته يربطهم بالشكوى ، وهي شكوى العجز والقصور، والكآبة والحرمان. حيث قال:

فَيَا عَجَبَا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطَّتِي وَما خطوهمْ خطوي، وَعدوهمْ عدوي

* الشيخ حسين بن أحمد المرصفي" ولد سنة 1810م ـ والتوفي في سنة 1890م" ، مثقف، ومعلم، وكاتب، عالم لغوي،وهو ابن عالم أزهري،أصيب بالعمى وهو في سن الثالثة لكنه أكمل دورة دراسية في الازهر، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها، ثم عمل بتدريس في الأزهر ودار العلوم،ومن مؤلفاته(الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) الذي نشر في جزئين، و(دليل المسترشد في فن الإنشاء) الذي لا يزال مخطوطًا حتى الان" ينظر لويس شيخو(الآدب العربي في القرن التاسع عشر) الجزء الثاني، ص94-95 ، طبعة دار المشرق في بيروت. وينظر ايضًا ديوان البارودين ص543.

يَـرُومُـونَ مَـسْعَـتِي، وَدُونَ مَـنَالِهَا مَرَاقٍ تَـظَـلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُـعْدِهَـا تَهْوِي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 719)

نجد يللوم ويعاتب بعض الاشخاص من مجتمعه على عدم التزامهم بمكارم والمعارف الاخلاق، ويعذرهم بان من كذب و سعى بين الناس بالفساد سوف يفتضح امره، ونلاحظ ان قصيدته ذات طابع النصحية ايضًا حيث قال:

أينَ مـــن رأى فاسِـــداً صَلَحُ؟
كُلُّ مَـنْ وَشَى سَـوْفَ يَفْتَضِحْ
فاتــركِ الأذى فَـــالأَذَى تَـرَحْ
واســـعَ للعلا مَـــنْ سَعَى نَجَحْ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 112)

ونرى البارودي يستخدم أسلوب التقريع الجماعي حين يعاتب الكل ولا يستثني نفسه ايضًا؛ فهمو يحس نفسه انه من عموم الناس، وهذا الاسلوب يرضى النفوس حين يرون أن الناصح او العاتب أو الواعظ لم يبرئ نفسه ايضًا، ولم يتفضّل عليهم، ولم يخرج نفسه من دائرة التقريع، والعتاب، وها نجده في قصيدة يدعو مجتمعه إلى القيم الفاضلة، حيث قال:

إذا كـانَ عـــقـبى كـــلَّ حيٍّ مـنيةٌ فَسِيَّانِ مَـنْ حَلَّ الْوِهَادَ، وَمَنْ سَمَا
وَمنْ عجـــبٍ أنا نـرى الحقَّ جـــهرةٌ وَنَلْـــهُو، كَـــأَنَّا لاَ نُحَـاذِرُ مَنْـدَمَا
يـودُّ الـفتى في كلِّ يـومٍ لـــبـــانـــةً فإنْ نالها أنحى لأخرى، وصـمـما
طماعةُ نفـسٍ تـــورِدُ المرءَ مشرعاً منَ البؤسِ لا يـعدوهُ أوْ يتـــحطما
أَرَى كُـــلَّ حَـــيٍّ غَـافِلاً عَنْ مَصِيرِهِ وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَـقِيقَةِ لاَنْتَـمَى (الجارم و معروف، 1998، صفحة 555.556)

والمعنى البيت، ان الشاعر مما يثيره الدهشفي الناس من تصرفاتهم العجيبة، ويعاتب الناس الذين يغترون بزخرف الدنيا ويغرقون في اللهو اللعب، وهم يعلمون أن نعيمها سراب خادع، ولا يحذرون الوقوع في الندم واللوم، ويرى بانهم غافلون عن مصيرة وهو الموت ، أي يطلب منهم ان يعرف الحقيقة بان الانسان مصيره ليتدبر أمور الموت والحياة وينتفع بهذا التدبر. ونلاحظ في بيت اخر قد بين مزج غرض العتاب مع الزمن وها هو يذم ويعاتب قومه، حيث قال:

فَعـَـلْـــتُ خَيْرَاً بِـقَـــوْمٍ فَـــعَـــامَـــلُـــونِـــي بِضَيرِ
فَلاَ تَـــلُـــمْـــنِي إِذَا مَـــا أَصْبَـــحْتُ أَلْـــعَنُ خَـيْرِي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 266)

العتاب السياسي

ان السياسة هي مجموعة من المبادئ والقواعد التي أثبت التجريب صحتها والتي تتعلق بالسياسة، وهي ايضا لرعاية شئون الدولة سواء كان داخلية أو خارجية نحو توزيع الوسائل في المجتمع عدلا بالقوة، وحماية اللغة والثقافة وسلامة أرض الوطن، وواجب على الدولة مقاومة الأعداء، ومكافحة الفساد والظلم والفقر، وحماية ممتلكات الناس. وفي الادب العربي نجد ان كثير من الشعراء العرب البارزين قد تطرق الى موضوعات السياسية وكثير الاشعارهم مع ازدياد الاحداث السياسية في الوطن العربي. وعاتب وشكا كثير من شعراء من مشاكل السياسية و القانونية، ومن الأمير والحاكم والوالي ، وايضا من الظلم والفقر وتهديات، والبطالة و غلاء المعيشة....الخ.

وصور لنا محمود سامي باشا البارودي في شعره السياسي عن عتابه، وكان يوجه عتابة الى حكام والوزراء والثوار، فقد عاش البارودي في فترة زمنية وخضعت فيها مصر احداث التاريخية المتغيرة، و وقع تحت سيطرة الإحتلال الإنجليزي، وينتزع من الشعب حقوقه في الحرية، والعدل، والرأي، وكان نصيبهم من هذه الاحتلال التشرد، والاضطهاد، والمهانة، وفي أجواء هذه الظروف برز شاعرنا البارودي ليجاهد بقلمه كما جاهد بسيفه.

وكان البارودي في شعره السياسي، بمثابة الناقد الاجتماعي، وثائر وطني، ومصلحا صريحًا حاد المشاعر. وكان شديد الإحساس على حرية ابناء بلده ناقدًا هوانهم وذلهم وتهاونهم في ردع الظلم والسكوت علية (الحمداني و احمد، 1987، صفحة 67). وهو يقول:

مـــتى أنـــتَ عَن أحـــموقة الـــغى ّنـــازِعُ وفى الـــشَّيـــبِ للنَّفسِ الأبيَّةِ وازِعُ ؟
أَلاَ إِنَّ فِي تِـــسْـــعٍ وَعِـــشْرِينَ حِـــجَّـــة لِكُـــلِّ أَخِـــي لَهْوٍ عَنِ اللَّهْـوِ رَادِعُ

ويقول :

وَكَيْفَ تَـــرَوْنَ الـــذُّلَّ دَارَ إِقَـــامَـــة وذلكَ فـــضلُ اللهِ فى الأرضِ واسِعُ
أرى أروُساً قَـــد أينـــعتْ لِحصادِهـــا فَـــأَيْنَ وَلاَ أَيْنَ السُّـــيُوفُ الْقَوَاطِعُ؟

Adres
Kırklareli Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü, Kayalı Kampüsü-Kırklareli/TÜRKİYE
e-posta: editor@rumelide.com

Adress
Kırklareli University, Faculty of Arts and Sciences, Department of Turkish Language and Literature, Kayalı Campus-Kırklareli/TURKEY
e-mail: editor@rumelide.com

فكــونوا حــصيداً خامدينَ ، أو افزعوا إلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الــضَّيْمَ دَافِعُ

ونظم هذه القصيدة العينية الطويلة سنة 1868م، وهو كان في التاسعة والعشرين من عمره، بعد عودته من حرب "كريد" ، وبعد أن تزوج "عديلة يكن" بنحو سنة (الجارم و معروف، 1998، الصفحات 315-316).

ونجد البارودي يعاتب على احدى الولاة في يوم قطع سد النيل حيث يقول: (الجارم و معروف، 1998، صفحة 250)

أيا مَــلِــكاً همَت كفَّاهُ جوداً عَلَى الثَّقَلَيْنِ: مِنْ بَادٍ وَقَارِي
عــراكَ النيلُ مــن بلدٍ بعيدٍ فألبسهُ الكرامةَ فهوَ عارى

وقال :

لو كانَ يدرى الفتى مكنونَ ما خبأتْ لــهُ المــقاديرُ لم يـركنْ إلى الحذَرِ
وَلَــوْ دَرَى أَنَّ مـا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَـتٍ مِن خيبةِ الرأى لم يعتُبْ على القدَرِ

وفي قصيدة اخرى نجد البارودي يعاتب ويذم سيرة الحكام، ويحض الناس على طلب العدل في الأحكام وقد نظم هذه القصيدة اللامية التى جاءت في سبعين بيتًا، في أواخر حكم الخديوي إسماعيل لــمّا ساءت الأحوال، وارتكبت وزارة مالــيّة مصر، وأرهقتها الديون المتراكمة، وتدخّل الأجانب في شؤون الدولة، وسئم الأهالي بهذا الحكم الفاسد الجاهل، وطلب من الناس على وجوب عزل ذلك الحاكم.

لَمْ تُلْهِنِي عَــنْ طِــلابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَـنِ الثَّمَلِ
كمْ بينَ منــتدبٍ يــدعــو لمكرمـةٍ وَبَيْنَ مُـعْــتَكِفٍ يَبْكِي عَلَــى طَلَلِ
قدْ يظفرُ الــفـاتكُ الألــوى بحـاجتِهِ وَيَقْعُدُ العَجْزُ بـِالْهَيَّـابَــةِ الْــوَكَلِ
وَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ تَسْـلَمْ، فَرُبَّ فَــتى أَلقى بهِ الأمنُ بينَ اليأسِ وَالــوجلِ
أخنى الزمانُ على فرسـانها، فغدتْ منْ بعدِ منعتها مـطروقـةَ السبلِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 397)

يقول كأن التلــهّي سكر يحذر العقل ويخمره، والسعي في طلب المجد صحوة ينبهه ويذكيه، وأن الفرق شاسع، بين الداعي إلى المكرمات، والباكي على ارتحال المعشوقات، والوقوف على الأطلال، وبكاء الديار، ويحض على الحذر والتيقظ والاحتراس، وان السلامة مرجوة بالحذر والاحتراس، لا بالغفل والاندفاع.

وفي قصيدة طويلة اخرى يعرض فيها البارودي الجند الذين تخاذلوا في الثورة العربية، ويشير الى اسباب الهزيمة هي عذم سماع الضباط الثورة للنصيحته، ويعاتبهم ويقول :

عَــلَى أَنَّــنِي لَمْ آلُ نُــصْـحاً لِـمَـعْشَرٍ أَبَى غَدْرُهُـمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقِ
رأوا أن يسُوسوا الــناسَ قَهراً، فأســرَعـو إِلَى نَقْضِ مَـا شَـادَتْهُ أَيْدِي الْوَثَائِقِ
فَــلَــمَّا اسْتَــمَرَّ الظُّلْــمُ قَامَـتْ عِصَـابَةٌ مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ
وشــايَــعَــهُم أهــلُ الــبِلادِ ، فــأقبـلوا إِلَيْـهِــمْ سِراعاً بَـيْنَ آتٍ وَلاَحِـقِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 388)

في شهر ديسمبر سنة 1882م نفيَّ البارودي مع سته من رفاقه قادة الثورة العربية بعد إخفاقها الى جزيرة "سرنديب" في أرض الهند، وفيها نظم شاعر أجود شعره، وأشد تأثيرًا في النفس القارئ، " ولقد لبث في ذلك المنفى ما يقارب عشر عامًا" (الجارم و معروف، 1998، صفحة 624). وأحتج الشاعر لنفسه، واستنكر أن يعاتبه لائم، لانه غريب في سرنديب وهو غريب ومنكوب وحيدا في هذه الجزيرة، ولائمه ويظلمه ويعاسره، وإن كان مشفقًا راحمًا؛ لأنه يجمع علية مرارة العتاب ولومه، ومرارة الغربة والبعد عن الوطن" مصر"، والتهلف الفراق والحرمان، وهو هائم بحبيبه، ومستهام به واشتد تعلقه بمصر، حتى أصابه جنون الحب والعشق والغرام، ويقول:

يَا نَــدِيمَيَّ فِي سَــرَنْــدِيــبَ كُــفَّا عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُـغْـنِي الْـمَــلامُ
أَنَــا فِي هَــذِهِ الــدِّيَارِ غَــريــبٌ وَغَــرِيبُ الدِّيَــارِ لَــيْسَ يُــلامُ
وَاذْكُرَا لِي فُسْـطَـاطَ مِـصْرَ فَـإِنِّــي بِهَــوَاهَــا مُــتَيَّــمٌ مُــسْتَهَامُ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 624)

Adres
Kırklareli Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü, Kayalı Kampüsü-Kırklareli/TÜRKİYE
e-posta: editor@rumelide.com

Adress
Kırklareli University, Faculty of Arts and Sciences, Department of Turkish Language and Literature, Kayalı Campus-Kırklareli/TURKEY
e-mail: editor@rumelide.com

عتاب الحب

البارودي أكثر في أيام شبابه من شعر الحب والغزل، ولا عجب من ذلك فقد كان البارودي شاعرًا و فارسًا وذا مال وجاه، وهو من أبناء الطبقة الحاكمة. وتميزت أشعار البارودي الغزلية، بالعف والعذري والغرام والبعد والحزن واللوم والعتاب والشكوى، وكانت اشعاره الغزليه في كثير من الأحيان تعيد إلى أذهان قارئيها الغزل في العصور الأدبية السابقة.

وكان شعره الغزلي يأتي أحيانًا في أول القصيدة على عادة جمهرة شعراء العربية وهو المعروف بالنسيب، وأحيانًا يفرد له قصائد خاصة (الدسوقي، محمود سامي البارودي، 1953، صفحة 61)، وكانت اول تجربته عندما كان في بلاط إسماعيل وهيأت له الظروف لذلك الحب، ولقد جهر الشاعر بوقع له دون تحفظ او خشية من عتاب فهو يؤمن بان الحب ضرورة لازمته لأنه فطري في المرأة والرجل" والم الصبابة هو الالم العبقري الذي تحيا به نفسه وان الفتى الكريم لا يعيبه اللهو والتصابي فكل مسوق لما يريد له (الحمداني و احمد، 1987، صفحة 64)، ويرد على معاتبه في قضية الحب ويشكوى الى الله ما قالوا عنه حيث قال:

إِلَى اللهِ أَشْكُو نَــظْــرَةً مَا تَـجَـاوَزَتْ ... حِمَى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدَتْنِي الْمَهَاوِيَـا
يَـلُـومُونَ أَشْـوَاقِــي كَــأَنِّي ابْــتَدَعْتُها ... وَلَوْ عَلِمُوا لامُوا الظِّبَاءَ الْجَوَارِيَــا
وَمَا لِيَ ذَنْبٌ عِـنْـدَهُــمْ غَـيْرَ أَنَّــنِي ... شَدَوْتُ فَعَلَّـمْتُ الْحَـمَـامَ الأَغَـانِيَا
وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَـرْءُ الْـهَوَى وَهْـوَ شَاعِرٌ ... وَيَثْنِي عَلَى أَعْـقَـابِهِـنَّ الْـقَوَافِـيَا (الجارم و معروف، 1998، صفحة 726.724)

وقال يعاتب حبيبته:

عَاتَــبْـتُهُ، لاَ لأَمْــرٍ فِـيـهِ مَعْتَبَةٌ ... عَــلَــيْهِ، لَكِــنْ لأَرْعَــى وَرْدَةَ الْخَجَلِ
فألبستْ ياسمينَ الخـدَّ خــجلــتهُ ... ورداً جـنـياً، جـنــاهُ رائــدُ الــمــقــلِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 495)

في هذا البيت يوضح لن سبب العتاب لحبيبته، لم يكن من حبيبه المتغزل به شيء يستحق العتاب؛ لكن عاتبه من اجل يخجله، فيستمع بالنظر إلى جمال حمرة الخجل في خديها التي تشبه زهرة الياسمين؛ ويتلمس في عيونها والباحث عنه، ويقطف منهما وردتين كانتا نتيجة عتابه.

وفي قصيدة اخرى يحذر البارودي من الحب من أول نظرة، ويعاتب هنا الحب لان اوقعته في مصيدة الحب الاول، ويذكر بان الحب من الاول النظرة دائما يكون بين العنف والمفاجئة والعذاب، وإنه لم يكد يراها ويملأ عينيه من عينها حتى أحس أن سهاما دخلت قلبه، وأن قلبه أنشق من شدة اشتياق لها، وذهب عنه الكبر والإعجاب بالنفس، ووقعت في مصيدة جمالها من خلال شعرها على أشفار عينها.

ذَهَــبَ الْهَــوَى بِمَخِيـلَـتِي وَشَـبَــابِي ... وَأَقَــمْتُ بَـيْنَ مَـلاَمَةٍ وَعِتَابِ
هِــيَ نَـظْــرَةٌ كَـانَـتْ حِبالَةَ خُـدْعَـةٍ ... مَلَـكَتْ عَلَيَّ بَـدِيهَتِي وَصَوَابِي
نَصَـبَتْ حَـبائِلَ هُـدْبِـهَـا فَـتَصَــيَّدَتْ ... قَلْـبِي فَـراحَ فَرِيسَـةَ الأَهْـدابِ
مَــا كُــنْـتُ أَعْـلَمُ قَـبْلَ طَـارِقَةِ الْهَوَى ... أَنَّ الْـعُيُونَ مَـصـايِـدُ الأَلْـبابِ
وَمنَ الْعَجائِبِ في الْهَوَى أَنَّ الفَتَى يُدْعَى ... إِلَيْــهِ بِــأَهْــوَنِ الأَسْــبَابِ
فَــارْبَحْ مَــلامَكَ يَــا عَـذُولُ فَإِنَّــنِي ... راضٍ بِسُقْمِي فِي الْهَوَى وَعَذَابِي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 80.79)

وفي قصيدة التي مطلعها "جَــاوَزْتَ فِي اللَّــوْمِ حَدَّ الْقَصْدِ فَـاتَّئِدِ" نجد الشاعر يعاتب فيه اهله، وسبب العتاب يعود بانه أحب فتاة التي هام فوائده بها، لهذا غضب أهله منه، حيث قال:

جَــاوَزْتَ فِي اللَّــوْمِ حَدَّ الْقَصْدِ فَـاتَّئِدِ ... فَلَسْتَ أَشْـفَقَ مِـنْ نَفْسِي عَــلَى كَـبِدِي
دَعْنِي مِنَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ امْــرَأً فَـطِـناً ... فَـاللَّـوْمُ في الْـحُـبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
إِنِّي لأَرضَــى بِمَـا في الْحُــبِّ مِـنْ أَلَمٍ ... وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَــا في الْقَـوْلِ مِنْ فَنَدِ
لَـوْ كَـانَ لِلْـمَرْءِ عَقْلٌ يَـسْــتَدِلُّ بِهِ ... عَلَى الْحَــقِـيقَـةِ لَمْ يَـعْـتُبْ عَلَى أَحَدِ

وقال:

إِنَّ الْــفَـتَاةَ الَّــتِي هَــامَ الْـفُـؤَادُ بِــهَا ... أَخْــفَتْ عَلَيَّ سَـبِيـلَ الْحَـزْمِ والـسَّـدَدِ

Adres
Kırklareli Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü, Kayalı Kampüsü-Kırklareli/TÜRKİYE
e-posta: editor@rumelide.com
Adress
Kırklareli University, Faculty of Arts and Sciences, Department of Turkish Language and Literature, Kayalı Campus-Kırklareli/TURKEY
e-mail: editor@rumelide.com

أَغْضَبْتُ في حُبِّها أَهْلِي فَمَا بَرِحُوا إِلْـبـاً عَـلَـيَّ وَكَـانُـوا لِي مِـنَ الْـعُـدَدِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 186)

ومعنى؛ يخاطب الشاعر من عاتبه في الحب، وينصحه بان يتماهل في عتابه، وقد جاوز الحد القصد، ولا تشفق عليه بما اعاني، اترك اللوم حتى لا يصل درجة الحقد، ويقول لهم بان من عاتبه في الحب قد حسد عليه، والشاعر يقبل ما ينتج من الحب من الم والعذاب، ولكنه لا يقبل اقوال الكاذب، ويضيف في قوله بان من عرف حقيقة الامر لما كانوا يعاتبونه. ويعاتب في اهله بانهم مجتمعين عليه بالعداوة والظلم، وكان ليّ أعوانًا وأنصارًا، وطلبوا منه ان يتعلق فتاة اخرى غير هذه التى احبت الشاعر، وقال لهم هذا الشيء تطلبون مني بعيد عنى. نجد في هذه لقصيدة بان شاعر دافاع عن حبه وعن غرامه في عشق حسدة عليه، وكذلك صور لنا طريقة معاتبة اهله وكيف هي ايضا عاتبهم و وقف موقف معادي لهم.

وقال وهو يعاتب حبيبته، بمطلع غزلي ويصف لنا قلبه، بان قلبه يهواها، و يتعلق بك ويحبك، وان عينه ينهمل لدمعة، ولا يجف، وفي بيت الثاني يعاتب حبيته بانها تستهين من رقة الحب وشدته، وهي لذع في قلبه وأحرقه وأنحله، ولا يعرف بان عاشقا مستهامًا مشتاقًا، وهو يبادر ويسارع في لقائها.

قَـــلْـبِي عَـلَـيْـك يَـرُفُّ وَعِبْـرَتِـــي لَا تَـجِـفُّ
وَأَنْتِ يَـا نُـــورَ عَـيْـنِي بِلَـوْعَـتِي تَسْـتَـخِـفُّ
قَـدْ شَـفَّنِي طُـولُ وَجْدِي وَالـحُـبُّ دَاءٌ يَـشُـفُّ
فَارْحَـمْ فَـدَيْـتُكَ صَـبًّا إلى لُـقَـاكَ يَـخِـفُّ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 357.356)

عتاب الدّهر

يدل الدّهر في معاجم اللغة العربية على الوقت، وقيل ايضا بأنّه الأمدُ الممدود، وقيل بأنّه ألفُ سنةٍ، وجمعه أدهُر، وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب أن تذمُّ الدهر، وتسبُّه؛ لما يُنزلُ من موتٍ أو هرم فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيذمّوه، وأشارة ايضا إلى أنَّ الأزهري ذكرى أنّ الدّهر ذو حالين: بؤسٍ ونُعمٍ (منظور، 1993، صفحة 69.68).

وذكرى في القران الكريم؛ قال تعالى: وَقَالُوا **"وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ "** (الجاثية:24)، وقال تعالى: **"هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا"** (الإنسان:1). وقد جاءت معنى كلمة الدهر في الآية الأولى " بمعنى مجازي يدل على القوة لقد جاءت كلمة الدّهر في الآية الأولى بمعنًى مجازي يدل على القوة والغلبة اي نزل بهم مكروهٌ ، أما في الآية الثانية فقد جاء كلمة الدهر بالمعنى الحقيقي وهو الزمن او الزمان. أما اصطلاحًا؛ هو في الأصل اسم لمدة العالم، من مبدأ وجوده إلى انقضائه، وهو اسم لمدة الحياة. ومعنى الدهر عند الفلاسفة هو بمعنى "الأبد" وهو بخلاف الزمان، فالزمان شيء يمر و ينقضي، أما الابد فهو دائمي، وعند الصوفية، فهو بمعى " الآن" الدائم، الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان. أما بخصوص في الادب فقد أكثر الادباء من شعراء والكتاب في استخدام كلمة الدهر ومترادفاته في الشعر وفي النثر من عصر الجاهلي الى عصرنا الحاضر. وقد جاء في الشعر بالموضوعات مختلفة، فمنهم من شكى وعتب و لوم، ومنهم من ذم وغضب من الزمان والدهر ومن القدر.-

ويلاحظ عبر عصور الادبية ان كثير من شعراء العرب قد اشادوا في دواوينهم بقصائدة تعبر عن موضوع الدهر سواء كان يعاتبون او يشتكون، او ينصحون عبر اشعارهم ، وموحود سامي البارودي ايضًا تطرق في ديوانه الى الدهر وغايته من خلال تصويرها بمختلف عناصرها.ونجده يعاتب ويشتكي من الدهر، من خلال قصديته في رثاء زوجته ***أمينة هاشم سامي*** بعد ما نزل عليه مصيبة بفقده لزوجته التي كانت يحبه و يعتمد عليه في كثير من الأمور، وحيث قال في:

يـــا دَهْـــرُ، فِيـــمَ فَجَعْتَنِي بِحَـــلِيْلَةٍ؟ كانَتْ خَـلاصَةَ عُـدَّتِي وَعَـتَادِي
إِنْ كُـــنْتَ لَمْ تَرْحَـــمْ ضَنَـايَ لِبُعْدِها أفلا رحِمتَ مـــنَ الأســـى أولادي؟
أَفْـرَدْتَـهُنَّ فَـــمْ يَنَـــمْـــنَ تَوَجُّـــعـاً قـــرحَـــى الـعيـونِ رواجِفَ الأكباد
أَلْقَيْنَ دُرَّ عُـقُـودِهِنَّ، وَصُغْنَ مِـــنْ دُرِّ الـــدُّمـعِ قـــلائـــدَ الأجـيـــادِ
يبـــكينَ من ولـــهٍ فـــراقَ حَـفـيَّـةٍ كـــانـــتْ لَـــهنَّ كـثيرةَ الإسـعـادِ
فَـــخُـــدُودُهُـــنَّ مِـــنَ الـــدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ قَـــلـوبُـــهـــنَّ منَ الهمومِ صوادى (الجارم و معروف، 1998، صفحة 154)

البارودي يعاتب الدهر بقساوة البالغة بانه لم يرحم مرضه ولا تعبه، وكذلك لم يرحم أولاده من الغم والحزن، كانت الام؛ بنسبة لهم مصدر سعادتهم ورعايتهم وتسليتهم عن غياب الأب، لكن الان اصبحوا وحيدين في دنياهم مُرتبكين في شؤونهم، وقد اصبحت دموع سالت من عيونهن تغرق أعناقهن، يبكين على فراق الكريمة التي بالغت وأفرطت في إسعادهن ، و صارت خدودهن مبتلت من الدموع، واصبحت قلوبهن محترقة بسبب الهموم والأحزان.

وفي قصيدة اخرى نرى البارودي يعاتب الدهر ما حال إليه، ويطلب منه ان يعيد إليه أيام شبابه، ويقول:

أَعِدْ يَا دَهْرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَأَيْنَ مِنَ الصِّبَا دَرْكُ الطِّلابِ؟
زَمَانٌ كُلَّما لاحَتْ بِفِكْرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ مابِي
مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلوعاً تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِئَابِي
وَكَيْفَ تَلَذُّ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي وَفِي اللَّذَّاتِ إِنْ سَنَحَتْ عَذَابِي
أَصُدُّ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجْزٍ وَأُظْهِرُ سَلْوَةً وَالْقَلْبُ صَابِي
وَمَا فِي الدَّهْرِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يَكُونُ قِوَامُهَا رَوْحَ الشَّبَابِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 64)

هنا الشاعر يطلب ويتمنى من الدهر ان يعيد إليه من ذكرياته وصوره، ويعاتب الدهر بانه هو المسبب في بكائه وفي شيخوخته، وانه دائما يفكر بالايام شبابه وهو مولع به، وقلبه الان جاهل عما يرى، وما في الزمان غير ايام الشباب.

وقال ايضا عن ايام شبابه :

أَيْنَ أَيَّامُ لذَّتِي وَشَبَابِي أَتُراهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهابِ
ذَاكَ عَهْدٌ مَضَى وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يَرُدَّ الزَّمانُ عَهْدَ التَّصَابِي
قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي فأَنْكَرْ تُ أُمُورًا مَا كُنَّ لِي في حِسابِ
وتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كانَ عَوْنًا عَلى التُّقاةِ اجْتِنابِي (الجارم و معروف، 1998، صفحة 67)

البارودي يعاتب دهره مرة اخرى عن فيسئل عن ايام شبابه فيقول: أين هدرة أيام اللهو والشباب ؟ فهل يعود بعد ان ذهب؟ ثم يأسف على أيام شبابه التي لن تعود ويرى أن الزمان رجل بخيل يأخذ ولا يعطي، ويطلب من الدهر أن يعيدا عليه ذكريات الأيام التي لا يستطيع ان ينساها، ويؤكد أنه في شدة الألم والحزن منذ ان بعد عن وطنه، ويضيف بان الانسان يستطيع ان ينسى كل شئ إلا ذكرياته الماضي أيام المرح والسعادة والشباب لا ينسى. ويشير إلى أنه لما عرف دهره، وفطن أحوال الناس في زمانه، أنكر كثيرًا من أمورهم، ولم ترقه أخلاقهم (الجارم و معروف، 1998، صفحة 69).

ويرى البارودي ان الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب الدهر، يعود إلى العقل لأنَّ هو الذي يريد الإنسان عن خفة العقل، والجهل وحسن التصرف.

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَرُدُّهُ إِلَى الْحِلْمِ لَم يَبْرَحْ مَدَى الدَّهْرِ عاتِبَا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْفَحْ عَنِ الْخِلِّ إِنْ هَفَا أَقَامَ وَحِيداً أَوْ قَضَى الْعُمْرَ غَاضِبَا (الجارم و معروف، 1998، صفحة 81)

البارودي قال في صباه وهو يعاتب على دهره ، حيث قال:

خُلِقْتُ حُرّاً فَلا قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلا عِرْضِي بِمُمْتَهَنِ
لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى دَهْرِي فَقَدَّمَ مَنْ دُونِي وَأَخَّرَنِي
وَهَذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَى مِحْنَتِي فِيهَا وَتُعْجِبُنِي
لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمْضِي مِنَ الْحَزَنِ
فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ في سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 659)

الشاعر يؤكد على انه ولد حُرا وان شأنه ودرجته ليس بهين عند اصحاب رؤساء والحكام ولا ذاته بمتدلين، ويعترف بانه عاتب الدهر ولامه في غضب وتسخّط، لان تفضل عليه من هو أقلُ منه، وهذا من عادة الدهر من معاسرة الكرام الأحرار، ورميهم بالبلايا والمحن، وانه يرى البلاء والشدة قد عاصره ولا يتعب من هذا الأمر، وفي اخر البيت ينصح الناس ويقول " من الفطنة، وجودة الفهم، أن تحيا حياة القناعة، وخشونة العيش؛ وبهذا تستبقي نفسك، وتقيها من الطمع الممقوت، والإغراق في الترف، ونحوهما من المفسدات المرديات" (الجارم و معروف، 1998، صفحة 659).

العتاب والشكوى كثيرًا ما نعثر بين صفحات اشعارها من زفرات الألم المحموم مخلوطة بعبير الفخر الثابت أمام قضايا الدهر من نوائبه وشَدَائِده ، حيث قال

رضيتُ منَ الدنيا بما لا أودُّهُ وَأَيُّ امْرِىءٍ يَقْوَى عَلى الدَّهْرِ زَنْدُهُ؟
وما أبتُ بالحرمانِ إلاَّ لأَنَّنى «أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ ما لا تَوَدُّهُ»
فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا صحبتُ زماناً يغضبُ الحرَّ عبدهُ
أبى الدَّهرُ إلاَّ أن يسودَ وضيعهُ وَيَمْلِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغْدُهُ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 123)

وقال في دواعي معاتبه:

خَـلِّ الْعِتَابَ فَلَوْ طَــلَبْتَ مُــهَذَّباً أَعْيَــاكَ مَــطْلَبُهُ بِهَذَا الْعَالَمِ

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَــرَى بِه قَــدَرٌ فَــإِنِّي مِــنْ سُلالَةِ آدَمِ (الجارم و معروف، 1998، صفحة 598.597)

الشاعر هنا في هذا البيت يشير الى ذنبه في معاتبه كان من شؤون التي جرى بها قدر الله تعالي فلا ينبغي أن ينكر عليه ويؤاخذه به.

كل ما اشرنا اليه في بحثنا هذا يدل على أن محمود سامي باشا البارودي كان له مواقف عديد في الحياة العسكرية والادبية ، وهو صاحب القب السيف والقلم وله نظرات واضح في الفلسفة والدين. وكان البارودي صادق في ما قال في قصائده بكل اغراضها، ولا سيما في غرض العتاب فنجده عتابه مبرمة بين الواقع الحياة المريرة، فيتضح لنا بانه تطرق في عتابه الى مواضيع يتعلق بنفسيته ومجتمعه و بشخصيته، لهذا استطيع ان اقول وهو فنان بارع في توضيف قصائده بشكلابداعي، البارودي وضع شعره وأدبه في قضايا شعبه واهلي و احبابه، وقد حارب ودافع عن وطنه بسيفه، ودافع عن مشاعره واحساسه عبر قلم الشعر وترك لنا خزينة من خزائن الادب العربي.

النتائج

من خلال ما قدمناه في بحثنا هذا توصلنا الى بعض النتائج منها:

- العتاب في الشعر العربي، غرض من الأغراض الشعرية في الأدب العربي القديم، وتناول شعراء في قصائدهم عبر عصور الادبية المختلفة، والعتاب قام على عناصر هامة في قصيدة وهي ان الشاعر يلجأ الى عتاب حين يكون لديه احساس بالتحول عن المودة من المعتوب عليه، فتدفعه بواعث متباينة الى غرض يتوسط فيه بين ان يلوم المعتوب عليه، ويقدم الحجج للمعتوب. ووجدنا ان الشعراء لجئوا إلى العتاب لكشف حالة معينة، أو اظهار معني المطلوب من عتابهم، وقد تضمن العتاب في اشعارم اللوم والاستنكار والشكوى.
- اتضح لنا ان محمود سامي البارودي من خلال الدراسة عن حياة الشاعر بانه مرة بثلاث مراحل تنقلت بينهما رحلة حياته، منها مرحلة شبابه المبكر وهو بداية دخوله الى مدرسة العسكرية، وشارك مع جيش العثماني في الحروب، وسافرة الي تركيا، ورحلات إلى فرنسا والانجلترا، وعاش مرحلة شبابه بين الحب والطبيعة من ناحية، والفروسية والفتوة والحرب من ناحية الاخرى أما المرحلة الثانية من حياته هي مرحلة دخوله بالحياة السياسية في عهد الخديوي إسماعيل وعاش المشكلات السياسية الداخيلة والخارجية في مصر، أما مرحلة الثالثة فهي مرحلة النفي إلى جزيرة سيلان حتى صعدت روحه إلى بارئها. وكان شعره مرآة بيئته وزمانه وكان في كل مرحلة منها صورة لحياته الاجتماعية والسياسية وحياته النفسية ايضًا، وقد انعكست هذه الصور على حياته الفنية.
- غرض العتاب عند البارودي شملت عناصر والبواعث الذاتية عند الشاعر، فنجده يعاتب قومه وسياسين وتارة يعاتب نفسه أو حبيبته، وتارة اخرى نجده يعاتب دهرة وقدره، فعتابه كان صادق منبعث من شخصيته واسلوبه في تعامل مع الناس وتناول البارودي غرض العتاب في قصائده من خلال نسيج عتابي، فكان عتابه موجه إلى رجال الدولة أي عتاب السياسي، وعتاب الاجتماعي مثل عتاب " عائلته، أخوانه، أصدقائه، وقومه"، وعتاب الحب مثل عتاب الحبيب والمحبوب اي العاتب والمعتوب، أما عتاب الدهر فعاتب زمانه و قدره وكثيرة في عتاب عن ايام شبابه. وما رأيناه في ديوان الباروردي انه قد ذكر العتاب في عدة مواضع، وما يقارب حولي خمسة واربعون مرة تلفظ بكلمة العتاب وما يشتاق منه من معاني ومرادفتها.

- ونرى ان من أهم مزايا البارودي في قصائده العتاب؛ بعده عن التكلف، وكان كثير ينطلق على شكل التلقائي و العفوي، و يظهر كل ما في نفسه، ويصور عتابه الحزينة او مؤلمة دون إخفاء أي شيء منها، ويتجه إلى المعتوب برغبة مندفعان لكي يزل الموجودة ما احتفظ من الحقد والضغينة في قلبه، مهما كلفه من التوسل من خضوع و تواضع.

كتابيات

الأزهري ,م .ب .(2001) *تهذيب اللغة* .بيروت :دار إحياء التراث العربي .

الإنسان.(tarih yok) .1:

البارودي ,م .س .(1909) *كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة* .مصر :مطبعة الجريدة.

البارودي ,م .س .(1909) *كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة* .مصر :مطبعة الجريدة.

البارودي ,م .س .(1971) *ديوان البارودي* .القاهرة :دار المعارف.

البصري ,ا .ب .(1971) *الفرج بعد الشدة* .بيروت :دار الكتب العلمية.

الجاثية.(tarih yok) .24:

الجارم, ت .ع & ,.معروف, م .(1998) .*ديوان محمود سامي باشا البارودي* .بيروت :مطبعة دار العودة.

الجبوري, م .(1974) .*أيام العرب في الجاهلية قيمتها التاريخية -أثرها منذ الجاهليين والاسلاميين* .بغداد :منشورات وزراة الإعلام .

الجهم, ع .ب) .ب.ط .(*ديوان علي بن الجهم* .جدة :وزراة المعارف السعودية.

الحمداني, س .ا & ,.احمد, ف .(1987) .*الأدب العربي الحديث* .موصل :مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.

الدسوقي, ع .(1953) .*محمود سامي البارودي* .القاهرة :دار المعارف.

الدسوقي, ع .(1973) .*في الادب العربي الحديث* .القاهرة :دار الفكر.

الرازي, ع .ب .(1983) .*مختار الصحاح* .كويت :دار الرسالة.

الزركلي, خ .(2002) .*الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين* .بيروت :دار العلم للملايين.

السّراقبيّ, ت .و .(1996) .*شعرُ عبدالله بن همام السلولي* .دبي :مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

الشايب, أ .(1976) .*تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري* .القاهرة :مكتبة النهضة المصرية.

العسكري, أ .ه .(1994) .*ديوان المعاني* .بيروت :دار الكتب العالمية.

القرطبي, ب .ع) .ب،ط .(*بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجن* .بيروت :دار الكتب العلمية .

الكريم, ا .(1996) .*القران الكريم* .المدينة المنورة :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

المدني, ع .ص .(1968) .*أنواع الربيع في أنواع البديع* .النجف :مطبعة النعمان .

المرصفي, ح 1292) .هجرية .(*الوسيلة الادبية للعلوم العربية* .القاهرة :طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماهير.

تحقيق عباس عبد الساتر. (1996). *ديوان النابغة الذبياني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

جابر, ر .م .(2013) .العتاب في الشعر العباسي .*مجلة كلية التربية الأساسية* .517-509 ,

سميسم, و .ك .(2015) .فن العتاب في الشعر الأموي .*مجلة اللغة العربية وادابها*.468-438 ,

شيف, ش) .ب.ط .(*البارودي رائد الشعر الحديث* .القاهرة :دار المعارف.

ضيف, س .(2006) .*الأدب العربي المعاصر في مصر* .القاهرة :دار المعارف.

طوقان, إ .(2012) .*الأعمال الشعرية الكاملة لابراهيم طوقان* .نصر :مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

على فاعور. (1997). *ديوان كعب بن زهير*. بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر, ت .م .(2008) .*خزانة الأدب وغاية الأرب الموسومة)تقديم أبي بكر* .(بيروت :دار الكتب العلمية.

عمر, م .ن .(2008) .*خزانة الأدب وغاية الأرب الموسومة)تقديم أبي بكر* .(بيروت :دار الكتب العلمية.

عويضة, ك .م .(1994) .*محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث* .بيروت :دار الكتب العلمية.

فارس, أ .ب .(1979) .*مقاييس اللغة* .دمشق :دار الفكر .

فاعور, ع .ح .(1988) .*ديوان زهير بن ابي سلمى* .بيروت :دار الكتب العلمية.

فرج, م .(2010) .*غرض العتاب في الشعر العربي الى نهاية القرن الرابع الهجري* .بغداد :مطبعة وجدي الجبوري.

فرج, م .(tarih yok) .*غرض العتاب في الشعر العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري*.

مصطفى, إ., الزيات, ا .ح., النجار, م .ع & ., عبدالقادر, ح .(1980) .*المعجم الوسيط* .القاهرة :دار المعارف.

منظور, ا .(1993) .*لسان العرب* .بيروت :دار صادر.

موسى, م .ب .(1995) .*المختار المصون من اعلام القرون* .جدة :دار الاندلس الخضراء.

هدارة, ت .م .(1992) .*مختارات البارودي* .مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

هدارة, م .م .(1992) .*البارودي حياته و شعره* .الأسكندرية :مطابع جريدة السفير.